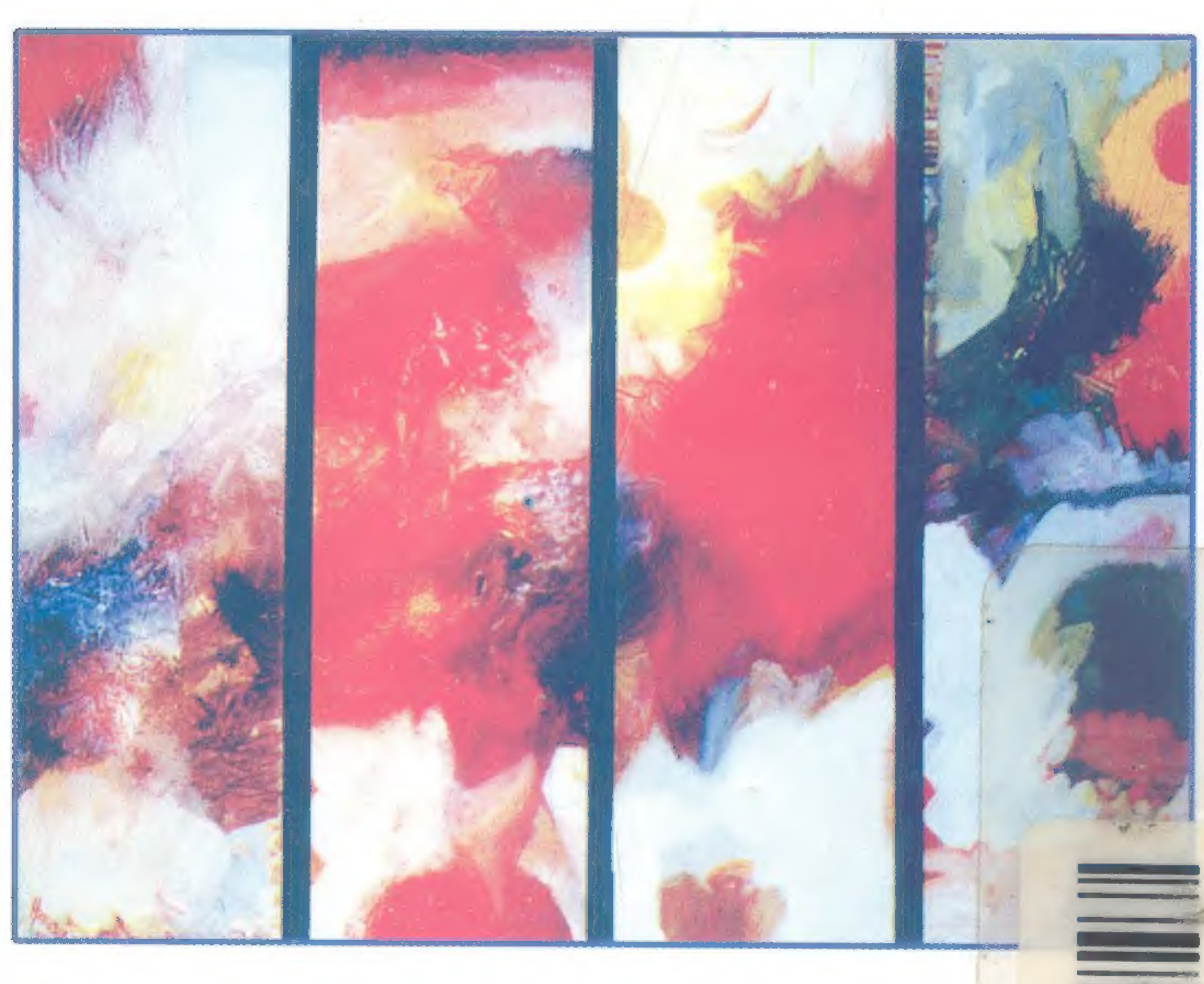
محمد على

لوحة ممنوع



قصص قصيرة





لوحة ممنوع

مجموعة قصصية

محمد على سعد سعيد

لوحة الغلاف للفنان / حسان على

الطبعة العربية الأولى ١٩٩٩

رقم الإيداع : ١١٣١٤ / ٩٩

الترقيم الدولى : 977-291-161-2



السلسلة الأدبية

الجمع والصف الإلكترونى

مركز الحضارة العربية

تنفيذ : هويدا محمود

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات

تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

محمد علي سعد سعيد

لوحة ممنوع

مجموعة قصصية



إهداء

إلى أميرة عمرى وبلسم حياتى

إلى زوجتى .. وأم أولادى .. قارئتى الأولى

التى ظلت دائماً نوراً يُضىء دربى .

وقمراً يسطع فى سمائى .

إليها ...

أهدى مجموعتى هذه التى لولا هى ما صدرت .

المؤلف

أمى والأزواج السبعة ○

- ١ -

من شعرى جذبتنى أمى .. صفعات فوق الوجه .. وبكاء .. ضربات بسياط أصابعها ألهبت الظهر .. ركلات فى بطنى .. ودعاء : أن يأخذنى الرب ويرحمها فأنا الإشكال .

وتداعت أمى باكية ، وصراخ صبى مظلوم فى قلب الأم يقطعه يخرجه من جوف الصدر قطعا من غيظ مكتوم ، سباباً مكتوماً أيضاً ، يصل الآن بقايا أحرف ميتة ، لا معنى فيها ، ماتت فى تجاويف الفم ، غيظاً من خوف ، أو خوفاً من غيظ مكتوم أن يظهر .

وصراخى كان يصم الآذان ، صراخ لا واع لا يعرف معنى الخوف ، وبكاء هستيرى ، لا يا أمى لا .. أنا صاحب حق .. الغرفة هى كل كيانى، ووجودى ، كتبى ،كرتى ، أشيائى ، ورسومى فوق الجدران تجسد أحلامى ، حتى الأحلام تأخذها تلك الغجرية ؟ لن أنسى ذاك اليوم .. وهل يمكن أن أنسى ؟ حين أتتنا تلك الغجرية ذات مساء كانت تبدو منكسرة ، تتدثر فى أثواب فتاة ريفية ، آوينى يا طيبة القلب ، لمى شعث فتاة ظُلِمَتْ ، طردتها كل ديار المعمورة ، كنت صغيراً فى تلك الأيام ، لكنى فى تلك اللحظة لم أرتح للأمر ، وهممت أن أرفع صوتى معترضاً ، لكن الأم - سامحها اللّه - رمقتنى بعيون تقدح شرراً أن أسكت .. لا لن أسكت يا أمى .. يبدو أنك كنت خائفة منها .. الآن تلومين لكن ما جدوى أن نتلاوم ؟ لو كنت سمعت كلامى.. لو كنت أطعت أحاسيسك .. أذكر أنك كنت

تخافين من غربتها ، وغرابة منظرها كنت تخافين .. يا ليتك يا أمى أوصدت الباب فلم تدخل ، كنا نقدر أن نصرفها ، لكن دخلت وخُدِعْتِ .. قالت :

- آوينى يا طيبة القلب ، يا صاحبة البيت الطاهر ، فى بيتك متسع لى ولأمثالى الضعفاء ، والرب أفاض عليك ..

لو كنتِ حسمتِ الأمر ، لكنك قلت :

- يابنتى أنت تظنين البيت وسيعاً لكن لا ، ما فيه سوى غرفة ولدى ، والأخرى لى .

قالت :

- يا طيبة القلب يكفينى ركن فى أى غرفة ، أو أى فناء.. دهليز البيت كبير ، والأفنية كثيرة ، ما رأيك لو أسكن فى مطبخ بيتك .

وأخيراً كالمعتاد ، وبطيبة قلبك يا أمى ، خدعتك بسيل الألفاظ المعسولة، والضعف البادى فى اللهجة ، تمتمتِ موافقة :

- أهلا يا بنتى ، ولتعتبريني أمًا أوأختًا كبرى .

- ٢ -

الأفعى الناعمة الملساء ، ظلت تحتال فى خبث ودهاء ، حتى سكنت فى غرفة أمى ، لكن هل رضيت ؟ أبداً لم تطق العيش بكنف الأم ، لم تلبث أن ضاقت بالغرفة ، خلعت ثوب المنكسرة وقناع القروية ، صارت سافرة الوجه، وتبدت بوضوح سحنتها الغجرية ، ذات خطوط غريبة ، ونقوش شرقية .

لا يمضى يوم يا أمى إلا دامعة العينين تنامين ، تنشب معركة فى كل

صباح ، فتاكِ يؤرقنى ، النور مساء يزعجنى ، ما هذا ؟ هو يدخل عندك كل دقيقة ، هو يخجلنى ، والحل ؟

الحل ضياع الغرفة يا أمى الساذجة المسكينة قالت بالحرف الواحد : أستأجر غرفة ابنك .. أعتزل بعيداً عنكم ، أنتم أنماطاً ريفية ، ضمى ولدك لجناحك، ومكانك يسع اثنين وأكثر .

وهجوم تترى محموم ، نقلتنى تلك الغجرية من مملكتى ، أجلتنى فى عنف شرس عنها ، سلبتنى ذاتى وكيانى ، فى الغرفة كانت نفسى ، كانت أحلامى ، نقوشى فوق الجدران تجسد كل الآمال ، لكن ضاعت .. ما العمل الآن ؟ لم تستكف بتغيير المزلاج فأبدلت الباب بغيره .. صحت بأمى ، قامت تعترض على التبديل ، سكتت حين تراءى شبح القبقاب الخشبى بيد الغجرية وهى تقول :

- ابنك ليه بعيداً عنى .

كادت أمى تندفع إليها ، لكن موجات القبقاب الخشبى بعيداً ردتها .. وتفجر شلال الغيظ المكبوت فأغرقنى ، فجذبتِ الشعرَ وصفعتِ الوجه وشددتِ ذراعى ، ولسانك يمضغ نفس الكلمات :

- " فليأخذكَ الرب ويرحمنى ؛ أنت الإشكال" .

- ٣ -

فى اليوم التالى ، فوجئنا بالغجرية تقتحم الدار بصحبة جمع تسبقه عاصفة دخان أسود ، يتلوى من غليون ضخم ، قد حشر بزاوية الفم اليمنى يتبعه رجل يلبس قبعة سوداء ، كان غريب السحنة ذا أنف يشبه منقار

غراب ، يحمل منظاراً أسود يحجب عينيه ، فى جيبى معطفه الأسود قد حشر يديه.

كان المشهد من نوع لم تألفه عيونى من قبل ، ومن بعد ، عرفت أن العاصفة السوداء خبير فى فن الديكور ، أما باقى الجمع فعمال نشطون .

الغجرية فتحت باب الغرفة للإعصار الأسود ، ولفرط ذهولى ، لم أدر بنفسى وأنا أتسلل بين السيقان ، أطالع أحلامى ونقوشى فوق الجدران.

مط خبير الديكور الشفتين .. رفع عصاه مشيراً نحو الجدران وغمغم :

- هذا تشويه ، تخريب ، تدمير .

لا أدرى بما غمغم بالضبط، لكنى أذكر قوله: لا بد من التغيير ، وأشار إلى العمال فنشطوا .

طرقات المطرقة على رأس الأزميل ابتعثت فى رأسى أوراما كروية ، سن الأزميل انغرس بأحلى نقش خطته يداى.. نقش طبيب.. حلم المستقبل . وصل الأزميل لعين طبيبى المنقوش ، انفجر الحائط بالدم ، اصطبغ البالطو الأبيض بالبقع الحمراء ، وحين مسحت الدمع المنهمر من العينين اتضح بأن الدمع المنهمر دماء ، والأزميل حديد مسنون فى أذن طبيبى المنقوش ، ها أنا ذا أنتزع الأزميل من الأذن المثقوبة .. أصرخ ألماً مجنوناً .. يا أماه فقدت السمع .. والسماعة سقطت من عنق طبيبى ، وتلتها جثة حلمى .. حلم المستقبل صار تراباً منثوراً فى أرض الغرفة ، انتبه الجمع لصرخاتى ، فأشار خبير الديكور ، وأطلق غمغمة من أنفه :

- ما هذا ؟! ولمن ؟! هل جن ؟!

فى أسى صاحت مستأجرةُ الغرفة :

- ولدك هذا ما عدت أطيق حماقاته ، ولا وقت لدى ، ليه بعيداً عنى .

جففت الأم الدمع وجاءت فى ذعر:

- ماذا ياولدى ؟

كادت تشتبك مع الغجرية ، قد فاض الكيل لكن حياءك من أغراب بالبيت أو من صورة موجات القبقاب الخشبى ردتك إلى ، وجذبت الشعر وصفعت الوجه ، وشددتِ ذراعى ، ولسانك يتلو نفس الموال :

- "فليأخذك الرب ويرحمنى ؛ أنت الإشكال " .

- ٤ -

ما هذا ؟

رسم غجرى .. فتاة تحضن شرطياً فى وضع الرقص .. وقفت أمام الباب لأتأمل النقش .. زى الشرطى ، جميل ، قربت النظر ودققت .. تغيم المرئيات ، وينقشع الغيم .. أحملق مذهولا لا أعرف صحواً من نوم.. هل يمكن هذا ؟

فتاة عارية تخفى عورتها نجمة .. ووجه للشرطى قبيح .. أدرتُ المقبض بالباب أطالع غرفة أحلامى .. الغرفة كانت لى دارت عين فتاة الشرطى .. سبقتنى .. غمزات دنسة .. يفهمها الشرطى .. مد الكف ليصفعنى ثم يطوح بى ، يبعدنى هاقد عاد يلف بساعده المفتول الخصر ليتم الرقص .

جاءت أمى تسحبنى فى رفق ، تتحاشى نظرات فتاة الرسم الغجرى الوقحة ، وعيون الشرطى الأوقح ، الأم تتمتم فى صمت شارد :

- الغرفة يا ولدى محكمة الغلق ..

لكن الغرفة لى .. لو غيرت الشكل مئات المرات ، أو صبغتها آلاف الألوان ، هى لى .. حتى لو رسمت كل رجال الشرطة فوق الباب هى ملكى .. مملكتى .. أنسيتِ ؟!

- كانت يا ولدى .

- آمالى فيها .. ذاتى وكيانى .. أحلامى .

- أحلام يا ولدى لا غير .. تلك الأفعى دنست الغرفة والبيت فهجرته ملائكة الرب .. سددتُ النظر إلى الأم .. والشرر من العين يطير ، وسؤال بالعقل يئن .

- أغراب يأتون إلينا ، تحويهم معها الغرفة، والباب عليهم قد أحكم غلقه.

أسبلت الأم العينين ، وانسكبت منها النظرات على الأرض فلم أرها ، وشفاه بالصمت تتمتم :

- " أحباب القديسة كثرة " .

فى تلك اللحظة طار صوابى ، فإذا بى أمسك أمى من كتفيها ، أنفضها فى عنف مجنون مهزوم ، وأنا أصرخ فيها أن قولى :

- ما الحل ؟!

- يا ولدى لا حل سوى الزوج .. رجل يحميك ويحمينى ، ينقذنا من شر الأفعى ..

انهار السمع بأذنى ، والرؤية فى العين انطفأت ، والقول ؟ لا أدرى ما قلت لكن أحسست بأمى تجذب شعرى ، تصفع وجهى ، تبكى متشنجة ، وتشد ذراعى تبعدنى وهى تلوك الكلمات :

- " فليأخذك الرب ويرحمنى ؛ أنت الإشكال " .

- ٥ -

واقترنت أمى بالزوج .. صرت أعيش لديه .. وسط الأبناء وزوجته الأولى ..

- ابنك فى أحضانى .. ولد من أولادى .. سأحطم تلك الأفعى الدنسة وأعيد إليه الغرفة ، هذا وعد منى أن أرميها من نافذة الغرفة للبحر .

عشقت أمى البطل الأمل الزوج ، خيل لى فى تلك الفترة أن قد عاد إليها بعض شباب غابر .. كانت أمى - فيما يحكى الناس - تتمتع منه بفيض غامر .. عاشت أياماً رائعة فى كنف الزوج .. غرقت فى عشق الأحلام .. وما عرفت إلا بعد فوات الوقت بأن الأحلام مجرد أوهام .

الأفعى الملعونة الخبيثة كانت أخبث مما نتصور، غابت فى جوف الغرفة مستسلمة ذابت فى أحضان الشرطى، وظلت فى هذا الوضع الشائق، حتى كنا فى فصل الصيف، وزوج الأم كعادته يستلقى فى دهليز البيت المكشوف، فانسلت تلك الأفعى ذات صباح باكر.. لدغته وعادت للجحر بسرعة .

ظل الزوج عليلاً عدة أعوام ، كان يقاوم آثار اللدغة ويكابر ، لكن الأفعى لم تمهله طويلاً هذه المرة ، فقد انسلت ذات مساء فى العتمة .. نفثت فى كأس البطل السم فمات .

- ٦ -

فُجعت أمى برحيل البطل الزوج .. لم تكن الصدمة فى موته ، بل كانت فى سنوات ضاعت .. سنوات عاشتها فى سجن الوهم .. لكن هل يئست ؟ أبداً .

وارتبطت أمى بزوج ثان ، وتكرر حلم الرجل الزوج ، حلم خلاص أبدى ، حلم البطل الغائب تدعوه ليأتى ، تعشقه ، تعطيه العمر ، لكن الأمل الموعود تأخر ، والبطل المزعوم تردى .. مات صريع الغزل المكشوف مع الغجرية .

- ٧ -

وتوالى الأزواج على أمى .. زوجاً تلو الآخر .. كانو أزواجاً مختلفى الأنماط أذكر زوجاً منهم .. اعتاد بأن يتخفى فى ثوب هندى .. يحمل مزماراً هندياً .. يعزف ألحاناً ساحرة .. تستدعى الأفعى كى تظهر .

- ٨ -

واقترنت أمى باللص .. مرتدياً زىّ الأبطال .. ابتز اللص المال .. اغتصب الذهب من الصدر .. واغتال الأمل من القلب .

- ٩ -

عاشت أمى تجربة زواج نارية ، وجوه سمر وعيون حمر ، وألسنة تتكلم بالأسرار ، تحلف بالنار على النار .. أن تشوى تلك الأفعى .

- ١٠ -

عاشت تجربة الشعوذة السحر .. شيوخ بعمائم خضر .. يتلون نصوصاً وطقوساً تستدعى الأفعى كى تظهر .

- ١١ -

عدت إلى الأم جريحاً مهموم الصدر ألملم أشلائى .. ألفيت الباب وقد أقفل .. صحت بأعلى صوتى :

- يا طيبة القلب تعالى.. لن تجدي شعراً فى الرأس ، قد قام الأزواج بنزعه.

يا طيبة القلب تعالى.. لن تجدى خداً في الوجه.. قد قام الأزواج بسحقه.

يا طيبة القلب تعالى..لن تجدي في الجسد ذراعاً.. قد قام الأزواج بكسره.

والباب المغلق هل يُفتح ؟ أبصرت الرسم الغجرى على باب الدار ..

وعلى الأبواب الأخرى نفس الرسم .. فتاة تحضن شرطياً في وضع الرقص ..

كل الأبواب عليها نفس الرسم ..

عبرت الأنهار جنوناً بذراع مكسور .. وقطعت البحر بجسد مكدود .. أبحث عن طيبة القلب .. واجتزت الصحراء مذهولاً .. ألقي أشعاراً عربية.. مجنونٌ قيسك يا ليلى .. أبحث عن طيبة القلب .. كانت ملقاة تحتضر .. فرميت الجسد بجانبها فمصيري هو نفس مصيرك يا أمي .. أما الأزواج ، فقد اجتمعوا طرف الغجرية يعتذرون .



أعناق الخوف ○

تعرف عليهـا فهى زميلة عمل لزوجـته العروس . فقـد كانت العروس زوجة ممدوح تسعد بتعريف صويحباتها وزميلاتها بالعمل . وجارتها بالحى على زوجها وعريسها . فخورة به فـهو وسيم الملامح . ما أن تراه حتى تحبه وترتاح إليه .. فى صوته حنين خفى ، وفى روحه رقة ، وفى أسلوبه عذوبة. وبقدر تشـجيع عروسـه للتعارف بقدر مـا حرصت على وضعـه فى أضيق الحدود ، وتعرف على نوال . جمالها لفت نظره . رقيقة ، باسمة ، متحررة.

حدثـته عروسـه عنهـا . عن ظروف معـيشتـها . والحـديث يبدو وكـأنه دردشة عـادية بين عروسين .. مرت الأيام .. اصطحب ممدوح عـروسه إلى السـينمـا فى حفـل السواريه ، والوقـت مبكراً عـلى بداية الحفـل .. حجـز مكانين مناسـبين وأخـذ بأنامـل عروسـه وخـرجـا يقـضـيـان الوقت أمـام الفاترينات .. صاحت زوجته ..

- نوال .. إنها لمفاجأة .. غير معقولة .

التـفت ممـدوح إلى نوال ولم يجـد نوال . بل رأى أربـع ملكات . أربع فراشات هائمات .. سابحات . جـمعن كل عناصر الجمال وتوفر لهن كل مقوماته .

- أين نوال ؟! لا بد أن زوجتى تقـصد نوال أخرى غير التى تعـرفها .. إن نوال جميلة حـقاً ولكن ما أراه الآن كرنفـال للجمال أقامه جـميع فنانى العالم على اخـتلاف فنونهم ، انتبه ويد زوجـته تجذبه ناحيـة الفراشات فى دائرة الضوء وتقدمه وتتقدم به .

- ها هى نوال .. سبحان الله .. ان الجمال لا حدود أو قياس له .. إنه المطلق ..

كاد ينطق بتلك الكلمات .. فاكتفى بابتسامه .. وحديث سريع للتعرف بالصديقات الفاتنات حيث أتين لقضاء السهرة مع أحدث الأفلام .

اقترب موعد الحفل .. دخل متأبط ذراع زوجته .. وفكره شارد لا يجد ما يتأبطه إطلاقا لم يع شيئاً من الفيلم .. كان كل اهتمامه متى يحين موعد الاستراحة .. ليسعد بلقاء الجمال ! !

والتقى الجميع .. تبادلن التعليقات .. الضحكات .. سندويتشات تبدو فى أيديهن قطع من الجاتوه وأحلى .. سيجارة بين أصابعه .. عيونه فى البستان شاردة .. بسمة على الشفاه لا تعنى شيئاً مطلقاً وتخلف وراءها بركاناً .. بل براكين .. حاله قبل الاستراحة لا يختلف عن حاله قبل النهاية بل أسوأ .

قبل الاستراحة كان الأمل فى لقاءين .. الآن الأمل فى لقاء واحد ..

انتهت السهرة .. التقوا مرة ثالثة .. طريق ممدوح مع زوجته يختلف عن طريق نوال ومؤتمر الجمال الذى تترأسه .. قبلات متبادلة بين الجنس اللطيف .. تصبحوا على خير ..

تمضى الأيام .. والشهور .. تراكمت الذكريات فى قاع الذاكرة ، حفظت فى إحدى ملفاتها أخباراً عن قرب زواج نوال .. انتقال نوال من العمل مع زوجة ممدوح إلى مكان قاص لتكون بقرب عمل زوجها المنتظر.. أيام .. شهور .. لقاء الصدفة يتكرر .. نوال على وشك الزفاف ..

دعوة لها وللزوج الموعود .. أهلا وسهلا .. جلسة تقليدية .. قفشات

مكررة ومعادة ؛ نصائح السابقين إلى اللاحقين .. وصايا القدامى إلى الجدد.

قتلها !! كيف ؟ لا يدرى !! لماذا ؟ لا يدرى !! أسرع فارتدى ثيابه فقد أفاق ليجد نفسه عارياً بجوار قتيلة عارية .. سحب ملاءة فغطى الجسد العارى . سحب أنفاساً متوترة من سيجارة أشعلها وهو يرتدي ملابسه .. ألقى بنفسه على أحد المقاعد تسمرت عينيه على الجسد الممدد أمامه تحت الملاءة لا حياة فيه .

منذ قليل كانت فى أحضانه .. كلها حرارة وكله ثورة .. كلها نشوة وكله بركان.. اختلط الحب بالرغبة والتقى الجنون بالحرمان .. منذ لحظات كانت جسداً بضاً بين يديه .. غرز أظافره فى لحمها .. تألمت .. استحلى الألم .. قبض بأسنانه فى جسدها .. استرحمته وهى تتألم بحلاوة .. وتصرخ بشوق .. دفعته ثم احتضنته .. لفلفت ذراعيها حوله بعنف ورغبة.. ضمها إليه .. عانقها .. عانقته .. داعبت يداه كتفيها وهى تتلوى .. يزيد الضغط فتتألم .. تقاربت يداه حتى أطبقت على العنق وضغطت فى ثورة .. فى جنون .. الأيدى تضغط والشفاه تلتهم الشفاه فى صراع غريب كأنً كلاً منهما على وعد بالتهام الآخر ، كأنً كلا منهما يريد أن يعوض سنوات طويلة لم يلتقيا فيها ، وكأنً كلاً منهما يقول هذا أول لقاء بين الجسدين ؛ فلنجد له تعبيراً عما فى نفس كل منا من رغبة لم نفصح عنها إطلاقاً واليوم يوم الترجمة بعد مرور سنين طويلة .

انتبه على لسعة السيجارة ونيرانها تحرق أصابعه .. ألقاها بالمنفضة دون أن تتحول عينيه عن الجسد الممدود ..

عندما ازدادت النشوة زاد الالتهام وازدادت الأصابع ضغطاً على العنق

دون وعى وهى كـالزلـزال وهو كـالبـركـان ، وقـبل أن يتـم الزلزال هزاته ليتفجر البركان .. توقف الزلزال تحول إلى جثة هامدة ..

عقل ممدوح يرفض ما حدث .. لا يستطيع استيعاب الحقيقة والموقف.. يصرخ صرخة مكتومة .. يهذى فى غيبوبة ..

- إنهـا هى التى حضـرت .. كـانت تعرف أن زوجـتى ليـست هنا ولا أولادى .. اختارت الوقت المناسب ، وزوجتى مشـغولة فى عملها . إننى ما دعوتها ؛ خوفـاً من الله .. خوفا على سمعة بيـتى .. وخوفاً على زوجتى.. خوفاً من المجتـمع .. خوفـاً من أن ترفض .. خوفاً من فـجيـعتـها فىّ وأنا المصلى .. الصـائم .. الطامع فى حج البـيت .. المؤدى للزكـاة .. والراعى لأولادى حق الرعـاية .. حاش لله أن تكون لى .. ومن أدرانى أنهـا ترغب فىّ .. هل لمجـرد رغبـة تبدو فى العيون وتكتـمهـا القلوب ..إننى واهم .. انفصالـها عن زوجها منذ فـترة سبب غير كـاف .. لا .. لا .. اكتم نزواتك القديمة كما كتمتها دائما ..

لقد أنهى ممدوح صلاة العصر منذ دقـائق وأخذ يتجول بين الغرف . لا يرغب فى عـمل شىء .. الـنوم يداعب جـفـونه بالقـرب مـرة وبالهـروب مرات.. وطرقات خفيفة على الباب يفتح ليجدها..

- أهلا وسهلا تفضلى ..

قالها بحكم العادة .. ودخلت دون سـؤال عن الزوجة والأولاد .. كأنها تعرف بعدم وجـودهم أو كأن الأمر لا يعنيهـا .. جلست .. تبادلا النظرات .. والعناق .

لحظة العودة لا زالت قائمـة والتوبة مفتوحـة والطريق فى بدايته .. ولم

يكن لصوت العقل مجال . تناثرت القطع الساترة هنا وهناك وتحررت الأجساد ولم يتحرر العقل والضمير . بركان اللقاء الأول وقبل الذروة كانت قتيلة ..

ينتفض ممدوح من غيبوبته غير مصدق لما حدث وأصوات خلف باب الشقة .. وصوت مفتاح يدار .. يسرع مستطلعاً من القادم ناسياً الجثة الممدودة تماماً . ولم يكد يصل الباب إلا وقد فُتح وأمامه زوجته وطفليه ..

- هل كنت نائما يا ممدوح !! .. خيراً ؟!

- ....

- بابا .. بابا .. وحشتنا خالص .

- ....

- أنا طرقت الباب كثيراً قبل أن أستعمل المفتاح .

- نعم !!.. .

- دائما مفتاحى تائه فى داخل الشنطة .

ممدوح زائغ البصر .

- توقعنا أنك خرجت .

- خيراً يا ممدوح ..

يبدو عليه النعاس والتعب .. انتبه .. السيجارة ستحرق يدك .

- هه ؟!..

- إيه يا بابا .. مش بتكلمنا ليه ؟!

- أظنك غاضب يا ممدوح من تأخرى .. انت عارف المواصلات

والتكسيات ... خرجت من الشركة إلى ماما ، وأخذت الأولاد ونزلت فى لحظتها .. انت عارف المسافة والتعب .

- .. ..

- أنا والله كنت قلقة خالص ومستعجلة .. لأجل أصل قبل نواك .. فقد أبلغتنى أنها ستأتى قبل سفرها لوالدتها .. قالت تريد رؤيتها والحديث معها فى موضوع طليقها .. لأنه يحاول ردها .. وهى ترفض بعد ما عانته منه وقاسته .

صوت ارتطام .. صرخة مكتومة . الأطفال تصرخ :

- بابا .. بابا .. الحقى بابا يا ماما .. بابا مات يا ماما ..

ولم تكمل الزوجة إبدال ملابسها وأسرعت لتجد زوجها ملقى على الأرض .. صرخت :

- ممدوح .. ممدوح .. ما بك يا ممدوح ..

الجسم ممدد لا حراك .. النفس بطىء وثقيل الوجه بصفرة الموت .. الأطراف فى برودة الثلج وصلابته .

أسرعت بنقاط الكورامين .. أسندت رأسه على يدها المرتعشة ، وباليد الأخرى فتحت فمه بصعوبة .. صبت الدواء بجهد وهى ترتعش وتبكى .. أخذت تدلك أطرافه ، فتحت أزرار بيجامته وأخذت تدلك صدره بعصبية ورعشة .. تربت على خده :

- ممدوح .. ممدوح .. خير .. هل تسمعنى ؟ رُد علىَّ .

تحرك ممدوح . فتح عينيه .. نظرات شاردة .. تحاملت .. وتحامل .. أسندته بين بكاء الأطفال وخوفهم ، جلست بجانبه على حافة السرير ،

غاب فى نوم عـميق .. انتظم نفسه .. اطمأنت الزوجة .. قامت متهالكة ذهبت بالأطفال إلى غرفتهم .. تركتهم يلعبون فى فتور وأعينهم تملؤها التساؤلات .. لا يعرفون لها معنى ولا كيف يعبرون عنها .

مضى الوقت وهى جالسة على حافة الفراش بجوار زوجها .. دخل الليل أضاءت الأنوار فى كل أرجاء الشقة فهى تخاف الظلام وتكرهه .

زوجها يتحرك .. يفتح عينيه .. يتحامل فتساعده على الجلوس .. يلحظ هدوءاً فى البيت .. والشقة تسبح فى الأنوار ..

فرك عينيه يتأكد من يقظته .. نظر فى فراشه .. فيما حوله .. فى عيون زوجته مرة أخرى لا أثر لشىء .. هدوء.. هدوء.. هدوء..

- ألف حمدا لله على سلامتك .. ارعبتنا والله .. لقد جفت عروقنا وهرب منها الدم ..

- نعم ؟!.. ماذا ؟!.. كم الساعة ؟! .. متى حضرتم ؟!

- صح النوم يا حبيبى .

- ن .. ن .. و.. نوال فين !

- قالت الزوجة :

- نوال مين يا عم .. ما الذى ذكرك بها الآن ؟.. أكيد سافرت .

حضر الأولاد على الصوت :

- بابا حبيبنا .. بابا حبيبنا .. بابا صحى .. بابا صحى .

***

العين أسقطت العين ○

أزاح الملفات جانباً .. رتب الفواتير .. وقوائم المراجعة فوق بعضها وأودعها أحد الأدراج ..مال بمقعده إلى الخلف مستنداً على الجدار . فتح جريدته المفضلة .

أخيراً انتصرت الجريدة على العمل .

لقد أنهى الأعمال المهمة السريعة فهو لايستطيع ممارسة هوايته .. أو الاستمتاع بقراءة إذا لم ينه عمله أولاً .. ولكن العمل لاينتهى .. والصراع يأخذه بين إنجاز العمل وبين قراءة الجريدة .. وخصوصاً اليوم حيث الملحق الأسبوعى الذى ينتظره بشوق .. .نادى :

- عم صابر .. . شاى .

كعادته يتصفح الجريدة كلها سريعاً .. يحدد الموضوعات التى تهمه أو يجذبه عنوانها .

"خمس ساعات نوم تكفى"

رشفة من كوب الشاى .. يتصفح دون تركيز فالعنوان يشده عن أى موضوع آخر .

حمداً لله إننى محباً للسهر .. لولا العمل الملعون صباح كل يوم ما نمت ساعة فى الليل .. بشرة خير .

الكلام المكتوب لأشهر الأطباء والباحثين العالميين .. كلام جديد إنه ترجمة وتلخيص لأحدث الكتب العلمية التى صدرت حديثاً .

تلتهم عينه السطر تلو الآخر ..

" يخطىء من يظن أن الإنسان يحتاج إلى عشر ساعات نوم ، أو حتى ثماني ساعات .. إن الجسم يحتاج إلى خمس ساعات من النوم العميق .. فإذا نام الإنسان سبع ساعات فهذه كافية جداً ".

- أيها العنوان الخبيث . تقول خمس ساعات ثم تعود فتحدثنا عن سبع ساعات .. بسيطة .. نحاول الحل الوسط ..

- إذا حصلت على ست ساعات لا أكون قد جاوزت بصحتى كثيراً .. ممكن تدبير ست ساعات .

"سبع ساعات .. الساعة الأولى هى استعداد ويكون الإنسان نائماً ولكن ليس بعمق .. بعدها يروح فى نومه الهادئ الحالم المفيد .. فى الساعة الأخيرة يكون الجسم قد أخذ راحته ويبدأ فى التقلب والقلق .. والنوم الزائد عن ذلك لالزوم له " .

- تمام .. تمام .. هذا هو المطلوب .. مرحباً أيها السهر .. أطال الله عمرك أيها المؤلف وأسعدك أيها الصحافى المترجم .. ورشفة من كوب الشاى الذى يبرد وعيناه لاتتحول عن متابعة المقالة الشيقة .

" بعض الناس يتصورون خطأ .. أن النوم كالعملة يمكن تحويشه أو تعويضه .. فينامون فترات طويلة من أجل التعويض أو من أجل الاستعداد لسهرة .. وهذا غير صحيح " .

- ليه بس كده .. أنا أسهر على أمل أن أنام فى اليوم التالى فترة طويلة تعويضاً عن السهر .. لازم الكلام اللى يقلق ده ؟! .. على كل حال .. ليس كل ما يكتب صحيحاً .. ولكل قاعدة شواذ ..

لاتفارق عينه المقال .. وإن امتدت يده تلقائياً رواحاً وغدواً بكوب الشاى .

"الناس ينقسمون إلى ثلاث مجموعات فى طبيعة نومهم .. المجموعة الأولى ... .. ، ....

- تماماً . لست منهم .. ما علينا ..

تسبقه عينه للمجموعة الثانية .

"المجموعة الثانية تمتاز بـ .. .. . ، وتختص بـ .. .. . ، .. .. . ."

- أيضاً لست من هذه المجموعة .

يزداد لهفة إلى قراءة المجموعة الثالثة .

تزداد نبضاته سرعة كمن ينتظر نتيجة امتحان .

- لابد أننى بهذه المجموعة .

المجموعة الثالثة وهؤلاء الناس .. وتلاحق عيناه الكلمات .. يبتسم .. يتمتم .. أنا .. العلم .. الطب .. التحليل .. يتطابق معى .. تمام .. تمام .. يلهث وراء الكلمات وتمتد يده لكوب الشاى وتعيده إلى مكانه دون أن يرشف منه . فلم يبق به شيء يُشرب وهو لا يدرى .

أقرب شيء إلينا هو أصعبها على فهمنا .. يتشوق الإنسان إلى من يقرأ له فنجانه .. حظه .. كفه .. شخصيته .. نفسيته ويخشاه . وكأنه يخشى المجهول بداخله .. وتتصل الكلمات لتصل لنهاية تحليل هذه المجموعة بعبارة وقعت عليه كالصاعقة :

" **هؤلاء يغلبهم الناس بسهولة** " .

لم يتصفح باقي الجريدة .. تركها حيث كانت .. مفتوحة مفككة . تسمر في جلسته المستندة إلى الجدار . رغم أنه فاتح ذراعيه .. واضع كفيه خلف رأسه .. فإن صدره يضيق بشدة ..

والجدار يهتز خلفه يكاد يسقط به أو يسقط عليه .. كاد الكرسي يتزحلق. موارياً إياه تحت المكتب .. حاول التماسك .. تراجع إلى الأمام .. استند بمنكبيه على مكتبه ، ورأسه بين كفيه وعيناه تنظران إلى أسفل .. إلى لاشيء .

- يغلبني الناس ؟! .. بسهولة ؟!.. كل الناس ؟! .

تحركت عيناه جاحظتان زائغتان تدور في كل اتجاه بزملائه المحيطين به على مكاتبهم .. يرمقهم .. يمقتهم .. يحسدهم .. يخشاهم .. كلكم تغلبونني ؟! وبسهولة ؟!..

فجأة أعاد ترتيب صفحات الجريدة .. طواها .. كاد يمزقها ولكنه أخفاها في أحد الأدراج .. تمنى أن يجمع كل النسخ ويحرقها .

- هون عليك يا رجل . احمد ربك أن الناس لاتقرأ المقالات الجادة وخصوصاً المترجم منها .. لن يلتفت أحد من زملائك إليها .. وإن حدث فلن تصيب عيناه غير العنوان على الأكثر لينقلها إلى صفحة أخبار الفنانين أو الرياضة .

- هون عليك يا رجل .. لا لا . إن الأمر لن يخلو من صديق مثقف يقرأ المقالة الملعونة .. أنا انتهيت .. ضعت .. صرت مطمعاً للجميع . فريسة سهلة للناس .. أليس هذا هو تحليل المجموعة من الناس التي أنتمي إليها ؟!

أنا ضائع فعلاً .. مغلوب دون أن أدرى .. مغلوب وأنا الواهم بأننى الغالب دائماً .. مصيبة .. الفواتير .. المراجعات .. أكيد غلبونى .. أكيد مزورة .. نعم .. نعم لايخلو قسم حسابات من التزوير أنا آخر من يوقع ويعتمد صحة البيانات .. السجن .. السجن مصيرى .

- الحساب يا بيه .. الحساب يا بيه .. أمشى يا بيه . إنما حضرتك منبه عليّه أفكرك دائماً بالحساب .. لأنك لاتحب أن يبقى عليك دين لأحد .. ولاتنام وعليك فلوس للناس .. أنت عودتنى كده .. يا بيه .. يا بيه .

- نعم يا عم صابر .. حسابك كام ؟..

- عشرة قروش بس .

- ليه ؟!

- فنجان قهوة الصبح .. واحد شاى وحضرتك بتقرأ الجرنان ...

- فاكر .. فاكر .. إنَّما ليه عشرة صاغ ؟!

- جرى إيه يابيه .. بقى لينا مدة على كده ؛ الدنيا غليت وحضرتك أول مرة تحاسبنى بالشكل ده ؟! طول عمرك كريم وإيدك فرطة .

- بس أنت بتغلبنى يا عم صابر .

- يا بيه يا بخت من بات مغلوب ولابات غالب .

- خد يا عم صابر .. إنت راجل بركة .

- ضحك علىّ ابن الأبالسة ... غلبنى بكلامه الحلو .

- فنجان قهوة لايكلفه قرشين .. والشاى قرش واحد على الأكثر

همّ بأن يلحق به . يحاسبه بالمليم .. كى يبطل جشع وضحك على

الناس . ولكنه التصق بكرسيه .. لم يستطع حراكاً .

- ماذا حدث ؟! .. دائماً أعطف على عم صابر صاحب العيال وأقول له (ربنا يقويك على تربية أولادك فى زمن الغلاء والشقاء) وكثيراً ما عاتبت زملائى على دقتهم فى محاسبته ماذا حدث ؟!

- إيه يا عم .. المكتب خلى عليك وانت قاعد .. الموظفين كلها انصرفت . إنت خايف من المدير.. تنتظره حتى ينصرف لتنصرف بعده؟.

بانفعال شديد كاد يصل حد المشاجرة .. وبملامح غاضبة ثائرة انتفض قائلاً :

- احترم نفسك .. بلاش طولة لسان .. أنا لا أخاف من أحد ، وانت عارف كدة تمام .

- أعوذ بالله .. خير .. مالك ؟! .. أنا باضحك معاك .. عايز تضربنى؟! . أنا زميلك من سنوات .. طول عمرنا بنضحك وبنحبك . وبنحترمك .. وعارفين إنك محب لعملك ومكتبك .. مدير إيه .. وخوف إيه .. الله يسامحك أنا غلطان ويبدو إن أعصابك تعبانة .. سلام عليكم .

- غلبنى ذوقه .. لماذا لم يثُر أمامى .. لماذا لم يدعنى أنتصر عليه بالسباب أو اللكمات .. هزمنى .. وبسهولة .

لم يركب مع زملائه أتوبيس الشركة .. خرج هائماً .. لايدرى أين يذهب . تاه الطريق تحت قدميه . تشابكت الشوارع أمام نظره .. يفتح عينه فلا يدرى غير جملة واحدة عريضة .

"وهؤلاء يغلبهم الناس بسهولة" .

قرأها على الأتوبيس .. يافطات الشوارع .. الإعلانات .. المحلات

التجارية . الأحرف تزداد غلظة .. واتساعاً . الأحرف محفورة عميقة ثابتة.. الأحرف بارزة .. تزداد وضوحاً ولونها الأسود يملاء المكان . يسد عليه الطريق .. كل الطرق .

طرقات على الباب خافتة منهزمة .. تسرع الزوجة .. تفتح .. يدخل مدحوراً .

- خير .. تأخرت عن موعدك .. إنشغلنا عليك .. ليست عادتك .

- هو تحقيق .. هل أنا صغير ؟! طفل ؟! لست أدرى بيت هذا أم سجن ؟! . السجن أرحم من هذا البيت والموت أرحم من الاثنين .

- صباح الخير يا بيه .. القهوة .

- شكراً يا عم صابر .. لا أريد ..

- خير يا سعادة البيه .. يبدو إن حضرتك سهرت كثير وفنجان قهوة يصلح مزاجك .

- لا .. لا .. يا عم صابر .. أنا مجهد شوية .. ومعدتى تؤلمنى ، ولم أتناول أى طعام منذ صباح أمس .

همَّ عم صابر بالانصراف بفنجان القهوة .

- عم صابر .. ضع القهوة .. وروح إنت .

ما كاد يرفع فنجانه حتى يرى لونه الأسود الداكن والأحرف تتراقص داخله تتشكل .. تكتب نفس الجملة . يعيد الفنجان إلى مكانه دون أن تلمسه شفتاه ..

- يا لك من متردد . ترفض القهوة .. تعود فتقبلها . هزيمة جديدة ..

لا تستطيع الحسم بقرار فى فنجان قهوة .. فأى قرار يمكنك اتخاذه فى هذه الحياة ؟!.. المسألة ليست مسألة قرار وقهوة .. ما ذنب الرجل الغلبان فى أن أعيده مكسور الخاطر وهذا رزقه .. عدت لتقول رزق ؟!..

- بالأمس كان جشع وكدت تمسك بخناقه .. لماذا لم تصر على الرفض؟. لماذا ؟.. لماذا ؟!.

ماذا يقول عنى هذا الساعى .. كبير المحاسبين ولايستطيع أن يثبت على كلمة .. خذ القهوة .. هات القهوة .. لعب عيال !!.

- أستاذ .. أستاذ .. صباح الخير يا شيخ الشباب وعم الشباب . دخلت للمدير واستأذنت بالانصراف بعد أن أخبرته بأن كل ما عندى من أعمال قد انتهى ولكن بينى وبينك باقى كام كشف محتاجة مراجعة والبركة فيك يا عمنا .

- لا أفهمك .. ماذا تريد ؟!.. .. أنا لا أراجع كشوفك أنا أعتمدها وأحولها للمدير .

- يا سيدى عارف .. ولكن معى موعد هام .. وإنت دائماً واقف معانا بشهامتك وليست هذه أول مرة .. لأجل خاطرى راجعهم واعتمدهم حتى لا يفتضح أمرى عنده .

- بس .. إنما .. أصل ..

- ماذا حدث ؟! . مزاجك ليس على ما يرام .. طول عمرك تخدمنا ولانلجأ لأحد غيرك .. لثقتنا بك .. وحبنا لك ..

- أنا آسف هات الكشوف . لن أخرج .. وأنا غلطان .. لم يكن عشمى هكذا .. وسحب الزميل الكشوف فى خجل ليعود لمكتبه .

- دعهم لى .. وانصرف إنت .. سأقوم بمراجعتهم واعتمادهم وتسليمهم فى موعدهم .. مع السلامة

انصرف الزميل . فتح الكشوف وإذ بها فى أول سطر والثانى والثالث.. جملة واحدة تصرخ فى وجهه .. " يغلبك الناس بسهولة " .

ها قد ضحك عليك .. عله تركك مغموساً فى عمله وأسرع إلى موعد يلقى فتاته الجامعية التى لم يخطبها بعد.. عله الآن فى الكافتيريا بين مرح الطلاب وجمال الحسان وأنت بين كشوفه وأرقامه.. إننى أبله.. نعم أبله.. لماذا وافقت.. لماذا ؟! هو يمرح بالكافتيريا مع حسنائه وأنا هنا مغلوب .. كنت أوافقه وأشجعه حباً له وحباً لذكرى شبابى وخطوبتى .. كم من مرة كلفت بعمله وعمل غيره من الزملاء.. تعاوناً ؟!.. تقديراً ؟! حباً؟!. لا.. لا.. كنت واهماً .. كنت مخدوعاً .. كانوا يضحكون علىَّ .. بل كانت بإرادتى وبدافع منى..كذب .. كذب. إنهم أقنعونى بذلك .. دون أن أدرى.. هل يكذب الطب والعلم وأحدث الأبحاث.. ؟ بل هم الكذابون.. المنافقون دائما يغلبونني .. دائما .. لن يفلتوا من قبضتى .. لن يفلتوا .. وهوى بقبضته على المكتب فانقلب فنجان القهوة والسائل الأسود اللزج ينساب فى هدوء وثقة فوق الكشوف وبين الفواتير والدفاتر . خاطاً بمادته الداكنة :

" هؤلاء يغلبهم الناس بسهولة "

التف حوله الزملاء متجمعين على صوته الذى ارتفع دون أن يدرى ويده المرتعشة وأصابعه القابضة فى غضب وعيناه تحملقان فيما خطه البن المنساب فوق مكتبه

- خير .. ماذا حدث .. لم نعهدك عصبياً .. هل وجدت أخطاء

أثارتك.. من هم الكذابون المنافقون ؟

- لاشىء .. لاشىء .. أنا متوتر قليلاً ..اسمحوا لى بكوب ماء .. أسرع عم صابر بكوب الماء .. استرخى على مقعده .. تناول الكوب وشربه لآخره انشغل الزملاء بتنظيف وتجفيف الأوراق . تركوه وعادوا إلى مكاتبهم .. مال قليلا وأخرج جريدته حيث أخفاها بالأمس .

أعاد قراءة آخر جملة بالمقال " **وهؤلاء يغلبهم النعاس بسهولة** " .

طوى الجريدة .. أعادها وضحكته تملأ المكان .

***

○ لوحة ممنوع

ختم عبد السلام حسنين صلاة العصر ، وأسرع فى ارتداء ملابسه .. وهو ينادى زوجته أن تسرع فى صب الشاى وتصفيف شعر البنات .

- الناس فى انتظارنا . والوقت أزف ونحن لانزال فى البيت .

- حاضر ياعبده .. خلاص ..فاضل البنت الصغيرة ، وأرتدى فستانى ، وأشد الحجاب على رأسى .

قال لنفسه :

- عبده ؟! أمى لاتزال لاتعرف من اسم والدى غير يا سى حسنين !!.

تناول رشفة من كوب الشاى وهمهم .. وأمى الطيبة لم تضع حجاباً كهذا قط .. لم تعرف هذا المُحلى بالشراشيب ولاذاك المنجد بالأسفنج على شكل تاج الملوك .. وللحجاب موضة .. وألف موضة .. رحم الله الطرحة.. تلك الشاشة السوداء تلف بها الرأس والرقبة ، والباقى تسدله على وجهها عند الخروج من البيت .

وابنته الكبرى ذات التسعة أعوام .. تسحب فستاناً منزوع الأكمام .. وعبد السلام يعترض .. مازال الوقت مبكراً على الصيف ، وليس للطقس أمان .. سنخرج إلى مكان مكشوف ، وسيحل علينا الليل ، والجو سيبرد.

وأمه لم تخرج طوال ثلاثين عاماً سوى ثلاث مرات وعم حسنين أبو عبده .. سيد البيت لايرى ضرورة لخروجها .. أول مرة كانت لإجراء عملية ولادة متعسرة .. مضطر .

- هل انتهيت من تجهيز الرضيع ؟ ..

- لاتنسى الرضعة واللبن .. " مشكلة أن لاتأخذ علبة الحليب .. لا يمكن تغيير النوع إلا بأمر الطبيب " .

كذلك كانت أمى ؛ لم تغير النوع أبداً . لم تعرف إلا ما أجراه اللّه فى صدرها .

- أعددت كل شيء يا عبده .. حالاً نخرج .

" وفى المرة الثانية خرجت أمى حين توفى والدها .. ذهبت لتواسى أمها وتعود فى نهاية الليلة بصحبة أبو عبده بعد أن قال :

- لاداعى للمبيت .. لاعزاء للسيدات .. الواجب على الرجال " .

أبدلت ابنته الفستان إياه .. منزوع الأكمام .. بينطال يتحدى الشتاء والصيف معاً ، فقد استطال إلى الركبة ولكنه أصر فى عناد على الوقوف عند هذا الحد ، رافضاً الاستطالة تحدياً للشتاء والموضة القديمة .. ورافضاً القصر تحدياً للصيف ، وحفاظاً على الاحتشام .. أو ربما استعلاء على «الشورت» .. والعجيب أنهم يطلقون على هذه الجملة الناقصة والنغمة المبتورة بنطال " برمودا " .. وعبد السلام لا ينكر أنه يعرف البنطال .. يعرفه جيداً أما تلك البرمودا فهى بلا شك لغز من ألغاز العصر .

للمرة الثالثة يصيح عبد السلام ، ويحث الركب المتباطيء على الإسراع،

- خلاص يا عبده .. بس أشرب الشاى ..

" كانت المرة الثالثة التى خرجت أمى فيها .. يوم زواجى " .

دفع عبد السلام العربة بالمولود ، تتبعه الزوجة والبنتان .

- لقد تأخرتم كثيراً .

- الست والبنات يا سيدى وأنت عارف الباقى .

- لنتجه إلى ملاعب الأطفال بالحديقة . أشار عبد السلام موافقاً .. ثم توقف فجأة .

- ما هذه الجمهرة ؟

- إنه مسرح مكشوف وسط الحديقة ، حيث تعزف الفرق الموسيقية غربى وشرقى وتقدم مطربين من شتى البلدان .

- إذن إلى هناك . نتفرج ونسمع .

المسرح يرتفع عن الأرض قليلاً ، قد جهز ببساطة تلائم المكان .. التقط كل منهم كرسياً .. جلسوا فى أحد المدرجات الخضراء .. الأطفال يملؤون المسرح .. يرقصون على أنغام الموسيقى .. أحد العمال يحاول بلا جدوى إخلاء المسرح من الأطفال ثم يستسلم للأمر الواقع ..

يسأل عبد السلام ابنته ذات البنطال البرمودى والتسع سنين .. ألا ترقصين ؟ يبدو عليها التردد .. يشجعها .

- خذى أختك وارقصى كى تتشجع بوجودك ..

الصغرى ترقص أول الأمر .. ذات البنطال البرمودى تسمع لحناً غربياً بدأت تعزفه الفرقة .. تتقدم للحلبة .. تهتز برقة أما الصغرى فوقفت جانبها مترددة .. يتلاشى اللحن الغربى رويداً .. يبدأ لحن شرقى .. يتجاوب معه الجمهور .. يصفق تصفيقاً مجنوناً .. سكون البنت الصغرى وترددها يتلاشى .. تبدأ فى الرقص تتجاوب مع نغمات الشرق .. ذات البنطال البرمودى تحاول .. لكن الجسد يأبى .. ما عاد يطاوعها .. تزداد الموسيقى صخباً .. هاهو عبده يتمايل .. فوق الكرسى .. تسكره النغمات وإيقاع

الأيدى بالتصفيق .. يزداد تمايله .. تملؤه النشوة .. يتراقص بؤبؤ عينيه يميناً ويساراً .. يتعالى الايقاع ويزداد .. تزداد السكرة .. تأخذه النغمات .. تجذبه من فوق الكرسى المتخشب .. ينهض مأخوذاً .. يرقص.. يندفع إلى المسرح .. يصعد سلمه قفزاً .. يصل إلى الحلبة .. هاهو ذا بين الأطفال وحيداً .. تعلو النغمات .. ينظر فيما حوله .. يلمح ذا الجلباب يندفع إليه .. يخلع عن جسد العامل جلبابه .. والعامل مبهوتاً يفغر فاه .. لا يأبه به .. يدخل فى الجلباب ويخطف ربطة عنق .. ممن ؟ لا يدرى .. لاوقت لديه ليعرف ممن ولماذا .. فلتسقط كل الأسئلة الآن .. يكفيه جنون اللحظة .. ما أروعها حقاً .. هاهو ذا عبده الآن .. قد أحكم حول الخصر الربطة .. والإيقاع الشرقى ازداد .. والأوتار المتوترة تفح فحيحاً مجنون الأنغام .. والجسد المهتز كما لو كان أصيب بمس الجن .. تنخلع الأعضاء تكاد .. وفى غمرة تلك الحمى والهوس المرعب .. تتحرك رغماً عنه الأحداق .. تبحث عن شىء ترقص به .. عكاز أو خشبة .. يلمح لوحة ممنوع .. قد ثبتها فوق ذراع خشبى محترفو الممنوعات .. يخلعها .. تعلو النغمات يشق فضاء الكون .. دقات فى الأرض تتلوها لفات فوق المسرح مرات .. تعلو النغمات .. تزداد الضربات .. فزع الأطفال فهربوا إلا قلة .. تعلو النغمات .. وعصا من خشب مجنونة كانت تحمل لوحة ممنوع .. تتراقص تتمايل مهووسة .. تعلو النغمات وتعلو معها الخشبة .. تنحط الخشبة فى رأس طفل .. تنفجر الرأس .. وتنفجر النغمات .. ودماء الرأس قد اندفعت مثل الرشاش على أرض كانت خضراء .. يزداد لهيب النغمات.. ويزداد جنون الخشبة .. فى الكف المهووسة .. والطفل يئن .. وجمهور المسرح فى نوبة طارئة شملته الحمى . حتى لتكاد الأيدى تنفجر بالتصفيق وبالنشوة .. ودماء الطفل تغطى أرض المسرح .. تصبغه باللون

القانى ... وضجيج الآلات يغطى أنات الطفل .. ومازال الطفل يئن .. شلال يتحدر من رأس الطفل .. لا بل هى شلالات دماء .

وفوق المسرح كانت ثمة خشبه .. تتمايل فى نشوة .. ورؤوس تحت المسرح كانت تتمايل طرباً والآلات تفح فحيحاً كانت .. حين انتفخت رأس الطفل .. الرأس المتفخة تملأ أركان المسرح .. والأعضاء المحترمون.. أعضاء الفرقة . أخلو للرأس المسرح .. تركوا الخشبة فوق الخشبة .. أيهما الممنوع وأيهما المسموح ؟ .. لا يدرى .. فالبقع الحمراء قد انتشرت .. حجبت عن عينيه الرؤية .. غطت كل ثياب البشر الموجودين . لم تترك أحداً .

كلمات هامسة للزوجة .. فى أذن الزوج الجالس كالتائه :

- مالك يا عبده ؟

- هه .

- فترة استراحة للصلاة فى مسجد الحديقة .. قم نصلى .

- هل سيواصل مطرب لبنان غناءه ؟

قطع حوارهما صوت آذان المغرب يتجاوب فى الآفاق ويعلو :

الله أكبر ....الله أكبر .

***

الكرباج والأنثى ○

كان معها فى الكواليس . أشعلت سيجارتها ومع أول نفس منها قال مبتسما :

- لن أمانع إذا عزمت عليَّ بسيجارة.. لقد نسيت علبة سجائرى بالسيارة.

لم تكد شفتاها ترطب السيجارة حتى قدمتها له وأخذت تعبث فى علبة سجائرها حيث اكتشفت أنها فارغة . . .

فقال :

- وأنت ؟

قالت :

- معى أخرى .

ونادت على وصيفتها . أو كما يسمونها بلغة المسرح - اللبيسة - وطلبت منها إحضار علبة أخرى من حقيبتها .

أمال رشدى .. شخصيتها على المسرح قاهرة .. تشعرك بالجبروت والسطوة .. أميرة هى على المسرح .. طاووس هى فى حركتها .. اطمأن حسام صالح إلى وجود علبة أخرى .. فأخرج مبسمه متعمداً . ووضع السيجارة فى مكانها وأخذ يدخن تمنّى أن لا يستعمل مبسمه مع هذه السيجارة المرطبة برضاب الأميرة .. ولكن شيئاً ما منعه .

أمال رشدى حديثة العهد بالتمثيل على المسرح.. ولكن إمكاناتها واعدة.

وحسام صالح ناقد مسرحى مولع بالمسرح لحد الهوس وازداد ولعه

بظهور أمال فى تلك المسرحية .

كانت أمـال بالكواليس فى انتظار « الكيـوى » أى المفتاح وهـى فى لغة أهل المسرح آخر كلمة ينطقها الممثل ليدخل بعدها ممثل آخر .

كانت أمال فى انتظارها لتدخل فى المشهد .

قال حسام :

- لاأرى فى الأيام الأخـيرة زوجك . لقـد كان يـصحـبك كل ليلة إلى المسرح وينتظر لنهاية العرض .

قالت :

- نعم فلم يمض على زواجنا أكثر من شهرين .

قال حسام :

- كان الله فى عونك وعونه . شهرين فقط ؟!

يعنى مع بداية البروفات وعرض المسرحية إنه لموقف شاق .. لك وله .

قالت :

- كان ذلك شرطى الأول .

بادرها حسام :

- وهل سبق لك الزواج ؟!

قالت :

- نعم .

كانت نغـمتهـا فى الحديث عن الأزواج والزواج يشوبهـا شىء من عدم الود والرضا .

عاود السؤال :

- وكان ذلك شرطك الأول ؟

قالت :

- إن كان عاجبه !! .

فاجأها حسام :

- إنك تستحقين الضرب .

أطفأت سيجارتها الثانية فى تلك اللحظة ودخلت إلى خشبة المسرح .

ويبدأ المشهد وهى ترفع سماعة التليفون يدور حديث من طرف واحد يدخل زوجها ببنطال الفروسية والكرباج فى يده .. يقف منصتاً حتى تنتهى المكالمة يسألها فى تردد :

- من المتحدث ؟

ترد عليه باستهتار .. بتكبر وتعال .. تمط شفتيها :

- لا أدرى .

تعطيه ظهرها وهى تتحدث .. يتحرك خلفها مندفعاً ثم يجبن فيتباطأ ويأخذ ذراعها بخفة .. ويسأل فى ضعف :

- كيف لا تدرين ؟! هل يتحدث الإنسان مع شخص لا يعرفه ؟!

- قلت لك لا أدرى .. اترك ذراعى ولا تكن حيواناً ..

كل يوم يتكرر هذا المشهد ويموت حسام صالح غضباً لرجولة هذه الشخصية .. كما يموت غيظاً لتجبر هذه الزوجة وينتهى المشهد بخروج الزوج وهو يكرر كلمات أرستقراطية واهنة ..

- لن أرد إهانتك .. أخلاقى وفروسيتى تمنعنى من ذلك .

ثم يعطيها ظهره ويختفى .

فى تلك الليلة كرر الزوج هذه الكلمات وأدار ظهره ليخرج كما هو مرسوم للشخصية. فإذ بأمال رشدى تجذبه بعنف ليستدير لها.. تأخذه المفاجأة .

تبادره بنظرة ساخرة ويسقط نظرها على الكرباج فى يده وتصيح فى انفعال :

- لا .. رد علىّ كمان .. مش بس كده.. الكرباج فى إيدك أهو..

ينظر الزوج فى دهشة لخروجها عن النص فتزيد من استفزازها له.. وتصفعه على وجهه وهى تصرخ :

- الكرباج معاك .. اضربنى .. اضربنى .. اضربنى .

- يرفع الكرباج ويهوى به عليها .. تصرخ فى جنون :

- اضرب كمان .

يعيد الكرّه ويلهبها بالسوط .. وكلما ألهبها السوط زادت في الصراخ وزاد فى الضرب . والجمهور يصفق بحماس بالغ وينزل الستار ويتدافع الممثلون والعاملون إلى خشبة المسرح وحسام صالح وسط الخشبة حيث ترتمى أمال رشدى فى أحضانه .

***

أغطية النار ○

صخب . صخب . صخب . فوضى الأبواق . فوضى الأخلاق . أو اللاأخلاق . آلاف من علب صفيح ساخن داخلها تحترق الأعصاب .. تحترق الأنفاس .. أو يحترق الناس . وصفوف ملتوية كالثعبان لاتعرف رأساً من ذيل .. تتلوى دون حراك .. ويطول الشارع يتخطى بصر الرائى إلى الميدان مقسوم هذا الشارع بالطول وبأحجار مرصوصة منذ زمان قبل الميلاد ..

من هذا الزمن الموغل فى القدم صار لهذا الشارع يميناً ويساراً .. ويمين الشارع للمتجه إلى الميدان أما يسار للقادم من نفس الميدان .

يوم إن كنا فى العصر الحجرى " ولا أكذبكم قول . قد عشت ذاك العصر ولازلت ".. نثروا الأحجار أقصى يمين الشارع ويساره . إعلاناً أنّا فى العصر الحجرى . ولما اخترعوا عربات يتقدمها حمار كان إيذاناً بتطور أذهل كل القوم .. بات كثير منهم يبكون العصر الحجرى يخشون العصر الحميرى.. ها قد جَرّ العربة حصان.. بعض عقول الناس لاتتحمل.. أمر مذهل .. العربة يتقدمها حصان . آه .. عربات حربية .. ها قد فهم الناس. زاد خوف البعض.. زفر كهول القوم الحسرات. على أيام العصر الحجرى.. خطر العربات الحربية وخطر حمير تتقدم عربات عصرية.. دفع الناس إلى السير فوق الأحجار المتناثرة يمين الشارع ويساره.. وقد اصطلحوا أن سموها أرصفة.

شكراً يا أجيال العصر الحجرى أن قمت بسبق الزمن طويلاً وجعلتى للشارع أرصفة .

***

صخب . صخب . صخب . فوضى الأخلاق أو اللاأخلاق . آلاف من علب صفيح ساخن . داخلها تحترق الأعصاب .. تحترق الأنفاس .. أو يحترق الناس .

عربات خشبية .. أو صناديق أيضاً خشبية .. أكشاك زجاج وأخرى من صاج .. تمتلىء بكل الأصناف مأكل . مشرب أو ملبس .. افترشت تلك الأرصفة .. طردت كل المارة .. لفظتهم أرصفة الشارع . يتلقفهم نهر الشارع المكتظ بعلب صفيح ساخن .. تطردهم أو تقذفهم بالأبواق . أن عودوا أو مروا بين الموجات خطوط تتلوى .. متشعبنة متداخلة متشابكة لاتعرف رأساً من ذيل . تتلوى دون حراك . تباً يا أجيال العصر الحجرى ويا أجيال الزفت الأسود والقار . أن قد قمت بعمل رصيف يوماً ما . ها قد أخذ بل أحتل .. صرنا نصارع نهر صفيح ساخن واقف أبد الدهر لا يتحرك بل يتلوى . يعلو ويهبط بالأصوات وبالأبواق .. تباً لك ياأجيال زمان قبل الميلاد أن قد قمت بعمل الشارع .. فيه اليوم نصارع كى نعبر نهر صفيح ساخن نرقص رقصة أنثى الثعبان نتلوى يمين يسار بين ضجيج الأصوات ؟ كى نعبر أو نغرق فى بحر الفوضى يأكلنا تمساح النهر الساخن .

***

صخب . صخب . صخب . فوضى الأبواق . فوضى الأخلاق . أو اللاأخلاق . آلاف من علب صفيح ساخن . داخلها تحترق الأعصاب .. تحترق الأنفاس .. أو يحترق الناس .

صمت . صمت . صمت . سكتت كل الأبواق . خرست . وقفت علب صفيح النهر الساخن . أعصاب القابع فى العلبة ملتهبة من فكر مشتغل لا ينطفىء أو يصعب إطفاءه . فليطفىء ماكينة تلك العلبة الملعونة

هاقد فعل الكل . المتجه إلى الميدان يميناً وكذاك القادم منه .

ساد الصمت رهيباً بعد الصخب..كانت فرصة للمارة أن تعبر فى أمن. لكن يا للعجب دفعت دفعاً إلى الأرصفة أو قد هربوا فى فتحات الشارع أو زجوا .

يبدو الصمت كئيباً . آلاف العلب الساخنة فى فوضى همجية ملتصقة. لما وقف الشارع ؟ لما ساد الصمت ؟ لما لا نتحرك ؟! آه .. لابد أنه آت.. سيمر .. من أين؟!.. من بعد .. حتى على البعد لامنفذ ليمر .. وهل يعجز مثله ؟!.. لما لا ؟!.

لا لن يعجز . من معه أدرى .. ليس وحيداً ..

العلب الساخنة تسد الطرقات ومنافذها ومداخلها وقفت فى صمت .

وفى هذا الصمت السائد موقفنا الساخن . يبدوأن قد سقطت كلمة فاشتعلت إحدى العلب وانفجر خزان وقود جانبها .. انتقل اللهب إلى الأخرى والأخرى . غطى اللهب . النار الشارع يمين يسار . أصوات مجنونة من قلب اللهب صارخة .. إطفاء . إطفاء النار تحاصرنا .. تأكلنا.

وأصوات معروفة . حادة . صارمة .. لاجدوى .. لن يصل الإطفاء فالطرقات جميعاً مسدودة . فلنسرع فى تغطية النار قبل قدومه .

لايمكن أن يتعطل ركب القادم .. طيران فوق النار يلقى غطاءً لا يحترق.. غطى النار . صار غطاء النار جسوراً . جاء فعبر فوق الجسر وتحت جسور الوهم . النار

***

خمسة طيور بيضاء ○

يُحكى أن :

- قد حدث جدب بالوادى . كان الوادى كثير الزرع ، كثير الخير . وفى أمر الجدب تقول الأقوال فيما تقول إن الجدب نتيجة أخطاء فلكية ، أو أن خلافاً دب بين إله السحب وبين إله الريح حتى صارت حرب، وانقلبت كل حسابات الفلكيين ، وصار المطر يغيب شتاءً يأتى ربيعاً أو صيفاً يأتى السيل.

صار الوادى : يزرع قمحاً أو قطناً ، يحصد شوكاً . أكل الناس الشوك، اعتاد الناس عليه . احتج البعض!، فنبتت بالشوك يديه ، صار غريباً بالوادى، يخشاه الناس ، عاش وحيداً بين القوم .

فى حلق البعض انغرس الشوك ، حاول أن يبتلع الشوك، امتلأ الفم وازداد مرارة ، وبطعم العلقم .. صار الفم .

صاح مناد الوادى يوماً :

- أن يا مرضى الشوك الحلق .. يا أصحاب الفم العلقم .. ها قد جئت إليكم بعلاج ..

سأل الناس :

- ماذا عندك ؟ ، بماذا جئت ؟

قال مناد الوادى :

- خمسة ديكة بيضاء للشخص.. ترفعه بعيداً عن أرض الوادى . تطير.

هتف القوم :

- إلى أين ؟!.

رد مناد الوادى :

- حيث يشاء الله .

نهلك أنفسنا ؟!.. موت فى شوك الوادى ، خير من منقار الطير .

كان مناد الوادى طويل البال . قال يطمئن من فى الجمع :

- إن الطير إن رفعت صـاحبها وطارت ، لا تهبط إلا فى أرض فيـها ما لذ وطاب .

- مسحورة ؟!.

- لا بل طير من أرض الوادى ، أكلت منذ الفقس من نبت خاص ينمو فوق مدافن أجداد الأجداد ، حيث دفن إله الخضرة " أوزو" .

- لكن لو متنا ؟! . هل ندفن فى أرض غـير الوادى ؟! هذا لم يحدث من قبل ولانرضاه !! . وإن شئنا العودة قبل ممات ؟.

قال مناد الوادى :

- سأعطيكم حبات من نبت العشب النامى فوق مدافن أجداد الأجداد. تطعمها الطير فترفعك حتى أرض الوادى تحط .

سأل الجمع :

- وإن مات أحد الطير ؟.

قال مناد الوادى :

- لن يقدر باقى الطير على حمل الجسد الكامل للوادى.. لكن احذر لو مات الخمسـة ستظل الروح غريبة بعيـدة ، لن تعرف للوادى عودة .. لكن

واحدة من طير قادرة أن تحمل روحك عائدة حيث أجداد الأجداد .

كـانت صيـحة زلزلت الكـل ، لم يترك أهل الوادى من قـبل الأرض ، فالـتجربة مـثيـرة .. كان الكل يأتى لـلوادى يغتـرف من خيره ، عـادة أهل الوادى أن يعطوا صار عليهم أو على بعض منهم أن يشبك جسده فى منقار الطير ويتركه للأقدار .

يحكى أن :

- بعض الطير حط بأرض فيـها قوم منهمكون مشغـولون .. أرض فيها بيع وشراء وأناس يرتفعون فوق رؤوس الناس ..

عجباً هذا؟! يتساءل صاحبنا الهابط.. بشر طير؟! أم طير فى شكل أناس ؟!

لا بل بشر طائر .. سمة مدينتنا .. ..

عندى الطير - الديكة البيضاء الخمس .. .

لا .. محظور .. أن يحملك الطير فى جو مدينتنا !!

من سوق الريش ابتاع صاحـبنا الهابط جناحين .. وطار وحط من سوق إلى سـوق . هذا بضـاعـتـه فكر .. علم .. والآخـر يعـرض فن .. رسم .. والآخر يعرض .. والآخر .. لابأس فى الأسواق متسع للكل .

وفى الأسواق كان العسل حكراً فى أيدى الكهان .

قال الكاهن :

- آلهة ذاك العصر الموغل فى القدم الحاضـر معنا لا يرضون بغير العسل بديلاً .. من يجمع عسلاً أكثر يرضى إلهه .. يطلب منه فيلبى كل رغائبه .

عبد الناس العسل . صار العـسل إلهاً .. أكل صاحبنا الهابط من أرض

الوادى ما لذ وطاب ، لكن العلقم بالفم والشوكة غصة بالحلق ينساها يوماً أو يومين ثم يعود للحلق الشوك والعلقم للفم .

قالوا :

– عليك بخزن العسل .. صار العسل إلهه .. عبد العسل .. حرم النفس ليشترى العسل .. خزن العسل .. ضاق البيت بمخزونه .. أشار عليه الكهان بالمعبد متسع لكثير .. احفظ فيه العسل حتى يرضى الرب .

شُغِلَ الناس بجمع العسل ليل نهار .. نسى الأخ أخاه .. والابن أباه . نسي بعض الناس الطير فمات . باع البعض الطير نظير شراء العسل .. قالوا إن إله العسل سيرضى يوماً ما وسيحمله بدل الطير حيث يشاء .

يوما ما ؛ جاء كهل مكدود يجر الجسد خلف عصاه .. قال :

– هل رضى إله العسل علىّ. هل صار فى مقدورى أن أطلب فأُجاب؟

وزن الكاهن مخزون الكهل من العسل . وقال :

– قد .. أطلب .. علّ .

قال الكهل :

– لاوقت لدى .. قد سال العمر من بين يدى .. من أجل العسل قد بعت الطير فليحملنى من حيث أتيت .. علا صوت سفلى .. لا أحمل أجساد الموتى .

قال الكهل :

– إنى حى ..

رد الصوت :

- قد بعت الطير لا أحمل أجساد الموتى .. لن يحملك إله العسل .. لن يرفعك الطير .. لم تحمله عصاه .. سقط الجسد الكهل .

يحكى أن :

- مذ ذاك العصر الموغل فى القدم الحاضر معنا لازالت روح الكهل تهيم طافت روح الكهل الأرض وقالت :

- يوما ما شاهدت رأس مفكر عالم عالقة فى منقار الطير صوب الوادى تطير .

كان العالم قد شغل بالبيع فى سوق الفكر وشراء العسل من الكهان ونسى الطير فمات أربعة .. سمع العالم عنى فأسرع وأطعم طيره حبات العشب وقال احملنى .. قال الطير لا أقدر .. صرت وحيداً .. أحمل روحك ممكن .

- روحى فى رأسى !!

أحمل رأسك للوادى .

طافت روح الكهل الأرض وقالت :

- يوما ما شاهدت زوجاً من طير الديكة البيضاء تحمل كفين وصوب الوادى تطير كان كفا الإنسان قد شغلت بالبيع فى سوق الفن وشراء العسل من الكهان.

باعت يوما ما ثلاثة من طير الديكة البيضاء لم يبق إلا اثنان لم يحتمل الفنان طول بقاء ينتظر رضاء الآلهة العسلية .. أطعم طيره حبات العشب وقال احملنى .

قال الطير :

- سرنا اثنين لا نحمل غير الممكن ، حمل الطير كفى الفنان حيث روح الفنان .

طافت روح الكهل وقالت :

- يوما ما شاهدت ساق رياضى عالقة فى منقار الطير صوب الوادى تطير .

طافت روح الكهل وقالت :

- يوما ما شاهدت زوجا من طير الديكة البيضاء فى منقاريها ذراعان وصوب الوادى تطير .. كان العامل قد سقط الحمل من بين يديه فأمات ثلاثة من طيره .. حزن كثيراً .. لم يأنس بعزاء أو سلوى .. باع العسل وآلهته وأطعم حبات العشب المنقار وقال احملنى .

قال الطير :

- لا نحمل غير الممكن .

يحكى أن :

- قد ساد الوادى العجب الهول .. أجزاء من جسد تتحرك .. رأس يتكلم بالموعظة .. وأصابع تعزف ألحاناً أسيانة .. أقدام تتراقص فى الملعب صوب الهدف تعزف ألحان الندم التوبة .. وذراعان قويان حملا هموم الوادى من قبل.

لم يتحمل أهل الوادى .. جمعوا الرأى بعد تدبر .. ندفنهم ؟ بقايا أجزاء من جسد تتحرك ندفنهم ولكن أين ؟!

اختلف الرأى ، وأخيراً قال الجمع :

- "حيث أجداد الأجداد ..حيث العـشب النامى فوق مدافنهم .. حيث إله الخضرة " أوزو" .

طافت روح الكهل وقالت :

- يوماً ما شاهدت العـشب اخضر .. نبتت فى الأرض الرأس .. طالت بالرقبـة وامتدت بالذراعين . نبض القلب والتـصق بالجسد الساقين .. قام العملاق وأذن .. نـزرع قمحاً نزرع أرزاً .. ورداً .. لن نزرع شـوكاً يوماً أو نحصده ولنترك للطير سماء الوادى فيه يرفرف .

يحكى أن .. .. ..

***

الشيطان الأخرس ○

مـضى الوقت وأنا أقف منتظراً... زائغ البـصر .. مـتلهفـاً لكل أتوبيس يدخل الموقف "أول الخط" أتطلع إلى رقمـه دون جدوى .. ومع دخول كل أتوبيس تتكرر خيـبة الأمل ، ويزداد التوتر وضيق الصـدر ، أفتح الجريدة .. أتطلع فيها بضيق ، عين بين سطورها والأخرى بين أرقام المركبات الداخلة، لا المركبة المطلوبة وصلت ، ولا الجـريدة قُرأت ، أين ذهب هذا الأتوبيس ؟ لا أدرى .. قطعت الرصيف ذهاباً وإياباً عدداً من المرات لا أستطيع عدها ، فإن الرقم الذى يـشغلنى فقط هو رقـم هذا الأتوبيس اللعين . ساعـة كاملة وقفتها بين الانتظار الممل والجريدة الأكثر مللاً .. وبعدها وصل الغائب من زمان ..

تدافعـت البشر من كل الأنمـاط ، بين سيدة تحمل طفلها ورجل يـحمل جريدته .. بين صـعيدى بجلبـابه ذى الأكمام الواسعـة ، وفلاحة بجلبـابها الأسود المغـبر.. بين العـامل بعفـريتتـه ، والأفندى ببذلـته (الحيلـة) . عمت الفوضى ، الصاعد مع النازل ، تتصادم الصدور ، وتتشابك الأيدى بالأيدى والأرجل بالأرجل ، تطير نظارة هذا ويتعثـر جلباب ذاك تحت أقدام آخر .. هدأت الفوضى .. بعـد لحظات استقر من استطاع الـوصول أسرع لكرسى أو بقايا كرسى .. فى هذا الأتوبيس العتيق ..

وكنت من المحظوظين ففـزت بمكان فى المقعد الخلـفى متحمـلاً صوت (الموتور) وحـرارته التى ارتفعت مع الصـيف حتى كـادت أن تجبـر الراكب على الوقوف خيراً من الجلوس فوق سطح فرن مشتعل يطرد من لا يتحمله بعيداً عن زحام الوقوف .. آثرت الغرق فـى عرقى فوق الصفيح الساخن ،

عن الغرق فى عرق الآخرين وسط الزحام القاتل . وهذه فلاحة مكافحة صعدت وفوق رأسها صفيحة يقترب حجمها من الخزان تزاحمت وساعدتها آلتها الحربية (الصفيحة) أن تلحق بمكان فى الكرسى المقابل لى ، وأقول ساعدتها وكانت من الممكن أن تعوقها ولكن ليست الآلة هى المهم ، وإنّما الأهم هو كيف نستعملها ، وقد عرفت جارتى كيف تستعملها فى الحصول على غنيمة عظيمة فى هذه المعركة وتظفر بمقعدها .. وضعت الصفيحة بجوارها على أرض الأتوبيس فاحتلت بذلك مكان راكبين .. نصر كبير !! وبغيظ ؛ نظر راكب صعيدى ومعه ولد عمه ، إلى الفلاحة المتربعة على العرش ..

- يعنى لا جعدنا . ولا كمان حنعرف نجف زى الخلايج !؟ وسّعى ياإختى شوية خلينا نجعد .. أو حتى نعرف نوجف !

- أوسّع أروح فين ؟! .. والله عجايب على الرجالة !

- شيلى صفيحتك ديه .. توَسّع لينا .

- يعنى أشيلها على راسى .. ولاّ أرميها فى الشارع لجل ما تفرح وتتهنّى بالقعاد ؟!

وحتى لا تتسع دائرة الخلاف ويتحول جوف الأتوبيس إلى معركة استأذنت الجالسين فازددنا تلاصقاً بل قل التحاماً .. وأفسحت لها مكاناً بجانبى ..

تركت مكانها وصعدت إلى جوارى ، وضعت الصفيحة فوق حجرها وقالت بنصف بسمة :

- اتفضل ارتاح يا حلو يا بوالصعايدة .

جلس صاحبنا وبشهامة أولاد البلد التصق تماماً بجاره فأفسح مكاناً (لولد العم) ، واضعاً يده على كتفه منحرفاً بزاوية مكنته من مواجهة الفلاحة فى الكرسى العلوى وقال بيسمة تملأ وجهه :

- متشكرين جوى يا حلوة .. أهو كده .

كم تغيرت اللهجة .. هكذا طبعنا ، نبدأ ساخنين .. صائحين ، وفى لحظات نهدأ . نبتسم ، ننسى ، نتصافح كأن شيئاً لم يكن ، سبحان الله ، كم قنوع هذا المصرى ، سريع الصفح دائم التآخى .. انتبهت إلى جارتى الفلاحة البسيطة :

- يا ستى حطى الصفيحة على الأرض أمام رجليكى .. مش معقول تشيليها طول الطريق على رجلك .

- يا خويا ، الصاج سخن .

فهمت ما يدور فى تفكيرها ، حدثت نفسى سبحان الله ، كم تتحمل هذه المكافحة من أجل لقمة العيش ومن أجل الرزق ، تحملت الجلوس فوق هذا الفرن ولا ترضى أن تضع بضاعتها فوقه !

- يا ستى فيها إيه الصفيحة ؟

- جبنة ..

- طيب حطيها قدامك أريح لك .

- يعنى ما تخسرش من السخونة .

- لا يا ستى مش ممكن تلحق .

- طيب يا خويا .. الله يريح قلبك .. قالت ذلك وهى تنزل الصفيحة.

انتهت الأزمـة وبدأ انتظار جديد أقل مللاً للجـالسين وأكثـر للواقفين ، المحصل فى كشك مـفتش الحركة يأخذ تأشيـرة الدور الجديد ، السائق نزل يفرد ظهره ويجدد نشاطه وفترة الانتظار انتـهزها الباعة لإقامة سوق مؤقت وعاجل داخل الأتوبيس .

- مـشط سن حديد .. لا ينكسـر ولا ينثنى بشلن .. يا بلاش .. يخـبط بالمشط على حديد الأتوبيس .

- طقم شـربات هدية للحبـايب .. بنصف جنيـه .. أوكـازيون ولا فى المعرض .. ويخبط خبطات متلاحقة بكعب الكوب ليؤكد القول بالفعل .

- هدية لأولادك .. بسكويت أربعـة بعـشرة صـاغ . قبل مـا اشطب .. الحق دورك .. الحق حظك ..

خالف القـاعدة ، ولـم يخبط بالبـسكوت على حديد الأتوبيس . اكـتفى بخبطات أشد تأثيراً . تنطلق من حنجرته إلى طبلات آذاننا التى أوشكت أن تصم . وكان الله فى عون الواقفين بين طلقـات الصوت وبين أرجل الباعة التى فـرمت أصـابعـهم . وهل نسـتـطيع كـلامـاً مع رجل يمارس عـمله .. ويسعى لرزقه . يعنى نقطع رزقه ؟! . مبـدأ ؟! طيبة قلب ؟! .. نتحمل من أجل رزقنا ورزق غـيـرنا ! حق لبس ثوب البـاطـل !؟ أم باطل لبس ثوب الحق ؟! .

- خذ يا بتاع البسكويت .. هات بيريزة ..

نادت جارتى الفلاحة وهى تناوله الجنيه :

- ليه مش خمسة ... هات كمان واحدة ..

رد إليها الجنيه وهم بأن يسترد بضاعته ..

- إحنا بنادى أربعة يا ست .. ما تعطلنيش ...عجبك ولا ..

خليهم يا خويا .. وبصوت وكأنها تحدث نفسها .. علشان العيال . لما أروح لهم .. طول النهار وأنا سيبساهم .. عينى عليهم .. ووضعت البسكويت فوق قطعة القماش التى تغطى خزان الجبن وبدأت فى عد باقى الجنيه :

- ناقص شلن .

- عد فلوسك تانى يا حجة .

- خد انت عد يا خويا ..

يشتركون فى العد سوياً .. يقتنع البائع .. يعطيها الشلن .. يبدأ الأتوبيس فى الحركة .. ينزل البائع مسرعاً .. تهدأ الأعصاب .. تنفرج الأسارير ؛ فقد تحرك الأتوبيس أخيراً ..

- نازلة فين ؟

قالها الصعيدى بادئاً مع جارتى حديثاً ؛ للود .. لقطع الطريق .. للتسلية.. للمشاكسة أو المعاكسة المباحة .

قالها بجرأة الصعيدى ، وبطريقة أهل العاصمة . ويبدو أنه يعيش فيها منذ فترة وقد أراد أن يوضح ذلك ويعلنه حيث تقاليد أهل الصعيد لاتسمح بالتحدث مع امرأة غريبة فما بالك بممازحتها ؟ غريب أمرنا .. أول ما نلتقطه من المدينة أو من مدنية الغرب .. من التطور هو المظهر السيئ قبل المظهر الحسن !

- نازلة مكان ما أنا نازلة ... ناوى تنزل معايا ؟

ردت جارتى كمن يقول ضاحكاً ساخراً فهماك يا صعيدى ! فهماكم

يارجالة .. الحريم عندكم تسالى . وكلام .. وفرفشة .

- يا ريت . أوصلك أحسن تتوهى ؟

- كتّر خيرك .. باين عليك شاطر قوى .. أنا حافظة السكة كويس وعرفاها قوى .

واستمر بينهما حديث متقطع كأنه اتفاق غير معلن على مجاراة كل منهم للآخر قتلاً للوقت . وشردت بذهنى عن متابعة حوارهم ، ولكن انتبهت على أن الرجل أخذ باكو بسكويت وهى شبه راضية ... تحت تأثير نوع من الإحراج أو الرشوة لكى يسكت عن مشاكسته لها . ولم يكد الصعيدى يفتحه ؛ حتى صدرت كلمة كأنها الحق من رجل مسن يقف قريباً من المشهد :

- يا أخينا دى ست غلبانة بتجرى على عيالها .. إديها حق البسكوته .. حرام عليك .

أقالها الرجل كلمة حق ؟! .. أم غضباً وتأديباً لفتاكة وفهلوة الصعيدى أم قالها عن غضب الواقفين على الجالسين ؟! .

وضع الصعيدى قطعة فئة الخمسة قروش فى حجر جارتى فأخذتها دون ممانعة أو معارضة .. وانتهى الموقف بينهم وبدا وكأن الحق قد انتصر .. وانتظرت أن ترد جارتى باقى الخمسة قروش لصاحبنا ؛ فلم تفعل ... انتظرت أن يتدخل صوت الحق مرة ثانية ؛ فلم يتدخل .. منذ لحظات كان صاحبنا مدين لجارتى بقرشين ونصف والآن جارتى مدانة له بنفس القيمة.. هل تعطيهم له أو تعطيه قطعة أخرى من البسكويت كباقى حق له ؟ لم يحدث .. ومرت فترة سكوت بكل المحيطين بالمشهد .. وإذ بصوت انفجار

رهيب أفقنا منه على توقف الأتوبيس وهبط قلبي في قدمي خوفاً من العاقبة إذا نزلنا في منتصف الطريق .. وكيف بنا الحال ؟ وقد ضاع الوقت ومر اليوم وضاع الهدف الذى ركبت له هذا اللعين ورحلة أخرى من العذاب تنتظرنا ونسيت لفترة موضوع الدائن والمدين وصوت الحق الذى نطق ثم سكت . وإذا بصوت المحصل يعيد بعض الأمل إلينا .. سوق يا اسطى .. لكن على مهلك خالص .. إطار واحد من الدوبل الخلفى فرقع .. تحرك الأتوبيس بطيئاً ... شكرت الله .. وعدت إلى التفكير وملاحظة جارتى وصاحبنا .. عدد من المحطات ثم رفعت خزان الجبن ونزلت .. بضع محطات أخرى نزل الصعيدى وولد عمه . وفى آخر المسار كان الأتوبيس قد أفرغ كل ركابه ولم يبق غيرى وتطلعت إلى ساعتى فإذا بالوقت الذي استغرقه الأتوبيس من مسافة تقطع فى نصف ساعة يقطعها فى ساعتين ونصف .. ضاع الوقت وضاع الهدف الذى إليه ركبت وضاعت كلمة الحق فى لعبة الدائن والمدين . وضاع انتظارى لأن ينطق بها أحد.. ولماسألت نفسى .. ولما لم تنطق بها أنت ؟ اكتشفت لأول مرة أننى أخرس .



قطة الشيخ سليم ○

عائلـة الشيخ سليم .. . عـائلة متـواضعـة ككثيـر من عائلات الأحـياء الشعبـية القديمة .. عائلـة طيبة السمـعة .. يشهد لها الجيران وأهل الحى .. ورب العائلة الشيخ سليم تاجر صغير جداً يكسب قوت يومه بالكاد بعد مشقة وعناء لا يتناسبان إطلاقاً مع مردود تجارته البسيطة وهو يحرص على أداء الصلوات الخمس فى بيت من بيوت الله مرتدياً جلباباً خصصه لذلك دون جلباب العمل .. . وقد أطلق الناس لقب الشيخ عليه منذ سنوات وللشيخ سليم خمسة من الأولاد .. أربعة ذكور حاول دفعهم دفعاً للصلاة فى المسجد وكانوا كثيراً ما يتهربون .. والكبيران بالتعليم الجامعى أما الصغيران فأحدهما بالإعدادى والآخر يتعثر بالابتدائى .. ولا تنسى فى عائلتنا الطيبة الأم المحبوسة طيلة سنوات العمر .. تشغل نفسها ٢٤ ساعة فى اليوم بخدمة الأولاد ورعايتهم .

فى هذا الجو نشأ أولاد عم الشيخ سليم . يخافون الأب والسيد .. يحترمونه دون مناقشة ويخضعون دون مراجعة وإن تفاوتت درجة الخضوع من ابن لآخر إلا أن الكبيرين كانا أكثر طاعة وأكثر مرونة لتعاليم عمنا الشيخ ولكن الجميع لا ينفلت من تحت لواءه أو هم لا يستطعون ذلك .

فلا اختلاط - لا سينما - لا شِلل وأصحاب أو أولاد حارة ..

لا كرة ولا تنطيط - لا مشاكل . ونشوف كتبنا .. .

والبنت الوحيدة هى الأم والأب تعمل ما تعمله الأم وترى ما يراه الأب صحيحاً .. دون مناقشة .. أو مجرد التفكير فى ذلك . هكذا كانت أسرة محترمة .

وفى عصر كل يوم ترى الشيخ سليم بين يديه كتاب الله يقرأ منه ما تيسر .. يشرب كوب الشاى الثانى والأخير .

فقد تناول الأول صباحاً ولا زيادة .. ويخرج لتأدية صلاة المغرب والعشاء ليعود دون تأخير .. لم تكن للشيخ سليم هوايات تذكر .. وكيف يكون له هواية والكلمة نفسها ليست واردة لفظاً أو معنى على ذهن عمنا الشيخ . اللهم إلا محاولات فى رعاية وتربية الدواجن أو ملأ القلل وتتبع نظافتها ودرجة برودتها . ورى بعض أصص الزرع من ريحان أو لبلاب وغيره من النباتات المنزلية التى كنت تراها أحياناً .. وأحياناً تهمل وتموت وتختفى لسنوات .. أما الثابت الوحيد فى البيت فهى " نرجس " تلك القطة المعمرة والتى سبقتها قطط معمرة أخرى .. .

وأقول قطة وليس قط .. لأن القط من النادر أن يعمر فى منزل حيث يرنو إلى الحرية دائماً فكيف له أن يعيش فى بيت أسرة هذا نظامها .

أما (نرجس) فقد التزمت إلى حد كبير بنظام البيت بحكم طبيعتها الأنثوية وما تلقاه من دلال وتدليل وبما تشعر به من حب واهتمام ورعاية . وما كانت تغادر الشقة إلا فى مواسم معينة . لا تستطيع قوة أن تمنعها عن ترك الشقة خارجة إلى السلم أو الشارع .. تموء مواءً يفهمه بنو جنسها .. فيتهافتون عليها وتختار بغريزتها لتعود بعد أيام إلى حالتها الطبيعية وليعد لها أفراد البيت بعد شهور فراش الوضع واستقبال النسل السعيد .

يحتويها الحنان والتدليل من أفراد الأسرة .. وكيف لا .. وهى تسليتهم الوحيدة وحديثهم المشترك .. ونوادرها هى حكاياتهم وقصصهم للأصحاب والزوار .

وفى أحد أمسيات صيف والبيت ساهر .. الأولاد يستعدون للامتحان.

والأب فى مكانه المعتاد بالصالة ونوافذها مفتوحة على المنور حيث الشقة بالدور الأرضى والأم تلزم المطبخ .. وصرخة لا ندرى من أطلقها "فأر .. فأر .." انتبه الكل ، أسرعوا إلى مصدر الصوت بالصالة . وإذ بالفأر المتنمر يقف متوسطاً المكتب الخشبى الوحيد بالبيت ولما أفاق الجميع من فزعتهم .. صاح أحدهم بالأمل .. عليكم بنرجس .. فين نرجس .. هاتوا نرجس .. وفى لهفة الباحث عن المنقذ . عن البطل .. عمن بيده الخلاص .. جرى الجميع يبحثون عن نرجس .. وصاح أحدهم اغلقوا الشباك .. اغلقوا الأبواب .. حاصروا الفأر فى مكانه حتى لا يهرب ويزوغ داخل الشقة .. بل قل حتى لا تتسع دائرة الرعب الذى دب فى النفوس .. بل قل حتى يحدد ميدان المعركة ويالها من معركة . وكأن النفوس قد استيقظت من سلامها الذى عاشت فيه طويلاً أو توهمت أنها فى سلام .. وكأن نزعة الحرب فى النفس قد طفت فوق سطح البحيرة الهادئة الراكدة .

عثرت الأسرة على نرجس . اختطفتها .. أدخلتها إلى الميدان . تركتها للفأر .. أو تركت الفأر لها . أخذت الأسرة مواقعها خلف الشبابيك من المنور . وخلف أبواب الصالة التى أغلقت إلا من فتحات ضيقة تسمح بالرؤية ولا تسمح للفأر بالمرور : ويسهل إغلاقها بسرعة إذا ما حاول الفأر اختراق الحصار المضروب حوله من الأبواب والنوافذ أو حاول توسيع دائرة الرعب والنفوذ .. وانتظر الكل وهم يستحثون (نرجس) على الهجوم .. الانقضاض .. الثأر .. الالتهام .. الانتصار .. كل المعانى التى يسمعون عنها ولم يمارسوها طول حياتهم .. أهوه يا نرجس .. الفأر يا نرجس .. بالله يا نرجس .. يتحرك الفأر فتتحرك القلوب معه مذعورة والأجساد مرتعشة . والعيون شاخصة فى انتظار هجمة مظفرة من تلك النرجس . التى كان يمر

أمامها الصرصار فتنظر إليه دون اكتراث . وكأن الأمر لا يعنيها فلا مخالب نشبت ، ولا صرصاراً أكلت . مكتفية بالنوم بين يدى أو تحت قدمى أحد أفراد الأسرة الذى أطعمها أكثر ولاعبها بلطف ..ويقفز الفأر فوق المكتب العتيق فى كل اتجاه .. فارساً مغواراً يطيح بسيفه فى الهواء ويلتقطه فى براعة . يطلب المنازلة .. يرقص طرباً .. ينظر شزراً ولا من منازل .. تنظر نرجس دون رغبة فى النزال ..

يبدو فى وقفتها التورط فى معركة ليست معركتها ..

وأمر ليس من اهتماماتها .. وجولة لم تستعد أو تفكر فيها .. بل دفعت لها .. وساقتها الأقدار .. إلى هذا الميدان ..

ويمر الوقت بطيئاً ثقيلاً .. تسمع الصيحات ممزوجة بين الهلع والوله ..

الهلع أن يتسلل الفأر و يسعى بين الحجرات والأفراد والوله برؤية ذلك المنظر الفريد .. والوله للحظة انتصار تخرج منه نرجس بنصيب الأسد من لحم طرى ونصيب البطل المنتصر وتخرج منه العائلة بالخلاص والراحة من ذلك الوحش الصغير الذكى الخطير .. خفيف الحركة سريع الانقضاض فارس الكر والفرّ ..

وتتوالى لحظات السكون الخائف المترقب المنتظر .. ونرجس تروغ وتزوغ .. تنظر تجاه الفأر مرة وتتجنبه مرات .. تموء مواء الخائفين ..

الدقائق تمر وتمضى الساعة وتبدأ أخرى ويوغل الليل .. والسكون يخيم وأنوار الشقق تخفت أو تزول وأى صوت أصبح أكثر وضوحاً .. ويسرى فى الليل ويلفت الأسماع .. والفأر ما زال يقفز من المكتب إلى الكنبة ويعبث بين الكتب المدرسية .. لا يقرضها إمعاناً فى التحدى .. متعففاً أو

غيظاً فى تلاميذ الأسرة .

وحتى لا يقلق صوت العائلة سكان البيت أو أقل حتى لايفتضح أمرهم فلا بد من إنهاء الموقف على خير . فليفتح باب الشقة المطل على الصالة . ولنعمل على إثارة الفأر المتنمر حتى يصل إلى الباب المفتوح .. وبعد جهد نجحت الخطة .. وخرج الفأر بسلام وأغلق الباب سريعاً وكذلك أحكم إغلاق النوافذ ..

وتنفست الأسرة الصعداء ..

أو تنفست الهزيمة ..

أو تنفست السلام وهم فى وهم الراحة أو راحة الوهم من تخلصهم من الفأر شعروا بحرارة الصيف ..

فقد خنقوا النسيم العليل وكادوا يختنقون فى كهفهم هذا الذى صنعوه بأيديهم .. ففكروا فى فتح النوافذ .

ولحظتها تذكروا أن من خرج من الباب لا بد آت من الشباك يوماً ما ..

***

حكايات غير مهمة ○

حكاية بائع الفطائر

.. واحد حلو مع واحد حادق ... صاح ابن الفطاطرى . وانصرف عنى غير عابىء بى .

انتحيت مفسحاً طريقاً للحركة الدائبة الفوضوية .. مرتكناً إلى طرف طاولة خالية وعلى حافة الكرسى أخذت جلستى وضعاً يفصح عن قلقى . وعيونى ملتصقة بالعامل الذى يعد الفطائر وهى تبحث عن سبيل إلى عيونه تستعطفه السرعة أن يرحمنى من عذاب الانتظار .. وكان السبيل .. ولكن إلى عيون باردة رغم حرارة الفرن الرابض يمينه ..

« أنا لا أحب الفطائر . حلوها أو مالحها » ..

يتعنتز ابن الفطاطرى فى إمبراطوريته .. مختالاً .. قائداً .. يصيح بالعامل فينزل ليغلف علبة حلوى محنطة لأحد الزبائن . يعود العامل إلى اعتلاء المنصة يقذف برقائق العجينة داخل الفرن ومعها كل البشر وأولهم ذلك الامبراطور الكلب .

تركت مكانى متجهاً إلى المنصة وصدرى يضيق بدخان أعصابى المحترقة ويعلوا على دخان الفرن :

– ألم ينتهى طلبى ؟! .. ألم يأتى دورى بعد ؟!

تساءلت بهدوء المستعطف المستجدى :

– حالاً .. ونظر إلىّ نظرات تعاميت عن فهم مغزاها الابتزازى .

- رجعت القهقرى .. دون جلوس فقد احتل زبون مكانى فانتحيت جانباً والتف الزراعان يضغطان الصدر على غيظه .

« حتى زوجتى لا تحب الفطائر » . تقدم أمامى بطن كروى حجمه أضعاف حجم فرن الفطائر يعلوه منطقة صعبة التضاريس .. منتهية بوجه مفرطح لامع . افترش المقعد خلف درج الفلوس وأخذ فى العد . ألصقت بسمة وقلت :

- يا معلم أكثر من ساعة أنتظر ..

كدت أقول جاء بعدى كثيرون وأجيب طلبهم ولكنه تشاغل عنى بالعد.. أنا لا أحب الفطائر وزوجتى كذلك .. لعنة الله على حلوها وحادقها .. ولكن ما العمل؟وهى الصنف الذى لم نر له مثيل فى المستشفى فقد عافت نفس زوجتى وابنى كل ألوان الطعام وصنوفه بعد إقامة يوم واحد .

حكاية المستشفى

- ألقيت بلفة الفطير فى حجر زوجتى المرتكزة بنصفها فى زاوية من فراش المريض ونصفها الآخر إلى الأرض .. بادرتنى باللهفة والقلق .

- تأخرت .. قتلنى الانتظار وملأتنى الهواجس .

- جاهدت فى استدعاء البسمة لترضيتها وقلت .

- كلى واطعمى ولدك .. فقد مضى اليوم ولم تتناولى شيئاً ..

وتركتها خارجاً إلى أول كرسى صادفنى بالاستراحة .. وراحت عيناى تجوس فى الجالسين والواقفين والغادين والرائحين ترى الملل .. القلق ..

الحزن .. النفاق .. المجاملة .. فهذه تجاهد فى حبس دمعها النازف ، وهذه تستجدى الدمع تدهن به أطراف عينيها ، وهذا دخانه المتلاحق يرسم قلقه ، وآخر يتسلى بحكاية ، ورابع يتظاهر بالإنصات .. هذه نشطت في جمع الأخبار استعداداً لإصدار أحدث دائرة معارف طبية . تجوس العينان المتثائبتان فتشمان رائحة العطر الفواح المزدان بقنطار جواهر فى زينة عرس ، وبالقرب منها من جاءت فى ثياب رثة «مهرولة» وكأنها جاءت تشيع المغفور له . وهذا المتأنق لم ينس ربطة عنق تتناسب والذقن الأملس .

والحاضر بلباس البيت أو جلباب النوم . وهذا ببزته العسكرية ليؤكد سطوته . سافرت العينان الراحلتان بفكرى عبر الزمن حيث صباح اليوم .. بعد أن قر الرأى على هذا المستشفى حيث يتميز بما يسمونه العلاج الاقتصادى والابن ذو الخمس سنين فى حاجة إلى جراحة والمستشفيات الخاصة ليس لى جيب فى اتساع مطالبهم .. أما المجانية .. دائماً يأتى دورك بعد أمرين .. شفاء المريض أو رحيله .

وكان العلاج الاقتصادى .. درجة أولى .. أولى ممتاز .. درجة ثانية .. ثانية ممتازة .

وترحال داخل المستشفى .. غمزات ونظرات من سماسرة الطب موظفين وفراشين وعمال .. تصريحات بأن الأسرة محجوزة كلها تلميحات لا !! ليست كلها .. توقعات بأماكن فى الأولى الممتازة .. همسات .. لا .. هناك فى ثانية ممتازة .. كل شىء بالحساب .. وكل شىء قابل للسلب .. حتى صحتك وحياتك إن لم تسارع بثقب جيبك وتحويل مجراه إلى جيوب الكل ، وبين الترحال والتجوال فى أروقة المستشفى وبين عيون السماسرة خبطنى الحظ بأحد أولاد الحلال الموجودين فى كل مكان

وخدمة لوجه الله والدنيا بخير .. وسرير في الدرجة الثانية الممتازة .. آخر سرير يا محظوظ . وبعد أن أفرغت جيبي من تحويشة العمر كتأمين دخول المستشفى صعدنا إلى غرفة ستائرها مهترئة وعدد الأسرة يمنعك من الحركة و .. و.. وخرجت أتأكد .. اللوحة معلقة على باب الغرفة (درجة ثانية ممتازة - جراحة) و.. خرجت إلى الجناح .. (جناح الدرجة الثانية الممتازة) وهرعت إلى باب المستشفى .. مستشفى كذا .. « العلاج الاقتصادى » رجعت إلى الزنزانة التى وضعت بها ولدى .. وأسقط فى يدى وقبل أن أستوعب المقلب وحتى لا أفيق منه إذا بعربة التغذية وكومة عجينه حمراء أفاد أهل المعرفة بأنها معكرونة بالصلصة وقطع من الجلد المحنط .. اكتشف آخرون أنها لحم وكرات خضراء غير منتظم شكلها .. لم يستدل على نوعها إلا بعد الرجوع إلى يومية التغذية بالمستشفى فعرف أنها برقوق .. تعيش الدرجة الممتازة .. وليسقط جميع المرضى فى القبور .. وحتى لا يسقط مريضنا وفلذة كبدنا .. رفضنا الغذاء متعهدين بتسديد الفاتورة كاملة وبعد معركة لسانية حامية .. وحضور كبير المسؤولين وهو ليس بطبيب فالأطباء غير معنيين بهذه الأمور .. اعتذر كبيرهم آسفاً لما حدث واعداً أن لن يتكرر وأن المسألة بسيطة لا تستحق الزعل فأثناء الطهى انقطعت المياه لانفجار ماسورة المجارى وإيقاف أنابيب الغاز خوفاً من مضاعفة الخطر . وانتقل المطبخ إلى أحد العنابر لإتمام عمل المعكرونة فخرجت على شكل بالوظة حمراء .. بسيطة .. والجانى ماسورة المجارى وليس السيد كبير الجزارين الذى اتفق مع السيد كبير المسؤولين على توريد اللحوم المجمدة على أنها طازجة أما تلك الكرات الخضراء غير المنتظمة فقد كانت برقوقاً وقبل أن تقدم للمرضى وحفاظاً على صحتهم تم فرزها واستبعاد الصالح منها وإرساله إلى كبار المسؤولين للوقوف على جودة الصنف والاطمئنان

على صحة السادة النزلاء .

همست زوجتى فى أذنى تعيدنى من رحلتى المرهقة عبر زمان يوم كامل إلى استراحة الدرجة الثانية

الساعة تخطت العاشرة والولد نام .. وأنت متعب . لا داعى لوجودك الآن .

- الجراحة غداً ونحن فى حاجة إليك بجوارنا .. لا تنسى أن تطمئن على البنت قبل مجيئك.

- سألتها هامساً .. هل فى حقيبتك نقود ؟. سارعت إلى حقيبتها واقتسمنا ما بها وغادرت .

حكاية الحمار

انحشرت داخل سيارة أجرة .

- الساعة تقترب من الحادية عشرة مساءً والسيارة لم تتحرك غير بضعة أمتار . والضوضاء وأصوات آلات التنبيه لا تفرق بين ليل أو نهار .. فتحتل الآذان وتثقب السمع وتستقر فى الدماغ - الشوارع تضيق حتى الاختناق .. فوضى المركبات .. بجميع صنوفها .. نارى .. بخارى .. كهربى .. آدمى .. وحيوانى الكل متداخل بلا تمييز والنتيجة .. أن شلت الحركة .. وصُمّتْ الآذان إلا عن ذلك النهيق المنبعث معترضاً محتجاً على هذه الفوضى وتلك العطلة .. وكان خلف الحمار عربة عتيقة اكتظت بما تحمله من نفايات .. عربة القمامة تقرقع بعجلاتها الخشبية والحمار يشخط آمراً أن أفسحوا الطريق .. السيد الزبال يفترش القمامة ممدداً على كوم الزبالة لا يعبأ بما فى

هذا الميدان .. بل هو يغط فى النوم . تاركاً الأمر للحمار .. وبين الغفوة والأخرى لا يفتأ أن يشجع الحمار بحرفين من اسمه .. حَا .. ثم يعود لأحلام القمة .

سائق الأجرة ينفخ أنفاساً حارة كادت تحرق محرك السيارة وتقضى علينا جميعاً .

وللحمار ذكاء فطرى . ضرب رأسه فى زجاج النافذة الخلفية بسار السيارة فكاد يهشمه ويفتح رأس الراكب المستند عليه

خَشى السائق على بلور سيارته فانحرف يميناً قليلاً .. فتشجع الحمار على التقدم ومزيداً من التحرش بالسيارة .. كادت العجلات الخشبية أن تصدم مؤخرتها .

طَار صواب السائق وأخرج ذراعه اليسرى مشيراً للحمار شاخطاً تدارك الحمار الأمر فقفز قفزة إلى اليسار كادت تخلعه من عربته المتهالكة .. اندفعت العربة خلفه .. فعبرت ذلك الحاجز الحجرى المتآكل الذى يفصل بين نهر الشارع والنهر المخصص للقطار الكهربى « الترام »

وهكذا أنقذ الحمار نفسه من الزحام والفوضى وأصبح يمتلك ناصية الطريق الخاص بالترام وراح يتهادى فى مشيته وخصوصيته . ونحن محشورون داخل سيارة الأجرة نتابع الموقف بين الضحك والسخرية .. بين الإعجاب بالحمار والحقد عليه .. وأصبح الحمار فى محازاتنا يتقدم بنفس سرعتنا وأحياناً يسبقنا خطوات ونحن نتسلى بالفرجة على هذا المشهد والقائد المظفر .. ومع الدقائق تكتمل الصورة . فالعجلات الخشبية تترنح يميناً ويساراً من أثر ارتطامها بالقضبان الحديدية الممدودة بالأرض والنفايات التى جمعت فى ساعات النهار يعاد نشرها وتوزيعها فى مدخل الميدان

إعلاناً عن أسبوع النظافة .. وخلف الحمار وعربته يتهادى الترام وتعمل عجلاته على فرم القمامة وسد الثغرات بين القضبان الحديدية وتسويتها بالشارع . أنستنا متابعة المشهد العظيم مانحن عليه من بطء فى حركة السير حتى طرق مسامعنا صوت مذياع السيارة ودقات الساعة تنطلق منه معلنة منتصف الليل مؤذناً بانطلاق العاصفة .. السائق يصب لعناته على كل شىء . ما يستحق وما لا يستحق . وأقسم بأغلظ الأيمان ألا يكمل المشوار .. وأبطل المحرك وطلب منا دفع الأجرة وإخلاء السيارة فوراً - تعالت الأصوات بين محتج ومهدىء .. وبين مُسْتَجْدٍ ومُسْتعدٍ فقال السائق رداً على الركاب :

- «الماكنة حتولع» .. « ساعتين شغالة على الفاضى » .. السيارة لو انحرقت لن ينفعنى أحدكم !

- يا حضرة ماذنبنا ؟ .. لاتوصيل .. وكمان أجره ؟!

- يعنى ذنبى أنا ؟! .. أليس هذا طريقكم المطلوب .. ولولاه ما كنت هنا.. ألم أضيعْ الساعتين من وقتى لحسابكم؟ واستهلاك بنزين .. وسيارة.. حرام عليكم يا عالم أين الرحمة ؟!!

طأطأت ساخراً وهامساً .. صحيح .. الرحمة أن تسلب جيوبنا وتتركنا فى عرض الطريق سامحك الله ورحمك بمثل رحمتك لنا .

كادت أذنه رغم غضبه أن تفهم كلماتى التى لم تخرج منى بعد .. وكاد يَجرّنى خارج السيارة وأنا لا أكاد أقوى على النطق أو الوقوف . فما بالك بعلقة ساخنة فى عرض الطريق ؟!!

- خرست تماماً وساومته مسترحماً مسترضياً حتى يُبقى لى أجره ما

يوصلنى إلى بيتى وإلا نمت بالشارع أو بين أيدى الشرطة .

- عشرات المرات فى اليوم يُسلب جيبى وأتعرض لعملية سرقة بالإكراه تحت أعين القانون وسيادته .. ولا إدانه لأحد ..

ولحسن حظى أن الترام يمر قريباً من بيتى .. ومزيداً من حسن الحظ بعد ساعات يوم كامل مكتظ بالحظ .. حصلت على مقعد خال بجوار النافذة وألقيت الجسد عليه كما ألقيت عينى فى ميدان الفوضى الأغر .

- عَلّمَناَ مدرس الرياضيات أن المركبات تسير بسرعة نقيسها بعدد الكيلومترات فى الساعة ٣٠ كليومتر فى الساعة - وأخرى تسير بسرعة ٩٠ كليومتر / ساعة وأن هناك الصاروخ والأقمار الصناعية تصل سرعتها إلى آلاف الكيلو مترات فى الساعة ولكن مدرس الرياضيات نسى أن يحدثنا عن (قطارنا الكهربى) الذى يتحرك بسرعة حمار واحد فى الساعة . عينى الملقاه فى ميدان الفوضى الأغر تلمح الحمار فى مشيته المتهادية يجر عربته وخلفه ترام من عدة قاطرات والكل يتهادى فى مشيته وأعصاب سائق الترام النصف يقظة بعد منتصف الليل .. والذى يحلم بلحظة يصل فيها إلى فراشه .. أعصابه تشتعل حيناً وتجمد أحياناً .

ارتدت عينى إلى الخلف فهالها طابور من قاطرات الترام لا تستطيع الوصول إلى نهايته .. وقد أصبحت تراماً واحداً بألف قاطرة يقوده سعادة الحمار الكبير .

تثاءب الركاب .. وراح بعضهم فى نوم عميق .. والبعض الآخر يزمجر وينفث ويلعن تاركين الترام . وفئة مترددة إذا توقف وطال وقوفه نزلت وإذا ارتأت أملاً فى الحركة أسرعت فعاودت الركوب .

عادة طفولية تلازمنى منذ الصغر .. فى حالات الملل والسرحان تعبث

أظافرى فى حك ما تستند عليه يدى .. فإذا بطبقة الطلاء تتهاوى وتحتها تكشف عن طبقة قديمة ما شاء اللّه .. أهذا هو الترام الحديث المستورد .. الذى فرحنا به وبسرعته التى هللت لها أجهزة الإعلام .. كم يا ترى قطع هذا القطار من الزمن والمسافات فى بلاد تصنيعه قبل أن يستهلك ويعاد طلاؤه وتصديره وتذكرت كبير الجزارين .

- عموله .. !!

- رد علىّ المحصل .

- « عمولة إيه يا سيد » .. بنقول عملة .. يعنى ثمن التذكرة .. زبائن آخر الليل !!

قفزت أذنى وسبقتها عينى إلى خارج الترام بعد أن توقف تماماً وتماوجت الأصوات واختلطت وصرخت آلات التنبيه فى مظاهرة توقظ النائمين فى قبورهم .. علا الضجيج والحمار يحتج على مطالبته بالإسراع أو ترك الطريق للترام .

حاول البعض جذب لجامه فأبى وأمّصَ .. ثم رفس « وزرجن » . ولمّا اشتدت المقاومة وأحس أنه منهزم وما هو بمهزوم .. وضايقته الأصوات رمى بآخر ورقة لديه فانطرح أرضاً وتمدد بعرض الطريق . وانقلبت العربة خلفه وألقت بحمولتها كلها . فطارت فى الهواء جثة بالية ثم هوت على الأرض .. فنهضت متثاقلة وبفتحتين فى الوجه تنظران فى بلاهة ولامبالاة ومن فتحة ثالثة أخرجت كلمتين وحرفين .

حا .. يا حمار الكلب .. ثم راحت فى نوم عميق .

سد جسد الحمار .. وجسد العربة وجسد الزبال .. والزبالة جميع أنهر

الشارع على حافة ميدان الفوضى الأغر ..

تَرَجّل كل الركاب إلاى .. ظللت متشبثاً بمقعدى وقطارى الذى تحول إلى صندوق ميت الحركة .. هذا أملى الباقى للوصول إلى بيتى ولن يزحزحنى عن مكانى هذا إلا وصولى إلى بيتى أو قدر الموت .. سائق الأجرة أرغمنى لأنها سيارته ..

ولكن هذا الترام .. ملكية عامة .. وهاهى تذكرتى إيصال تسديدى لأجرة توصيلى إلى بيتى وهاهو جيبى يَنْعى خواءه .. وها أنا لن أترك مكانى وإن بقيت معتصماً فيه حتى الصباح .

- تقاطر من فى الميدان .. من المقاهى والدكاكين .. نزل من البيوت الساهرون فى النوافذ والأسطح المطلة على المشهد . وتجمهر القوم على الحمار .

- شد يا جدع .

- قوم يا حمار .

- حاسب سيرفسك فى بطنك .

- ابعد يدك عن أسنانه .

- الحمار مزرجن .

- زق معايا نحركه .

- نشيل حمار يا عالم معقول !!

- أين الشرطة ؟

- مشغولة بما هو أهم !!

- أين الإسعاف ؟

- الطرق مسدودة كيف تصل !!

- أين البلدية ؟

- بلدية مين يا عم !

- أين الحكومة ؟!

- يا راجل شيل معايا الحمار وخَليّك هنا ..

الكل يفكر فى الحمار .. العربة المقلوبة لايلقى إليها بال .. القمامة شيء لايلفت النظر .. الزبال نائم أو ميت أمره لا يشغل أحد .. والساعات تمضى وكأن العدسة قد توقفت عند هذا المشهد لحلقة قادمة .

عاودنى الملل والشعور بتعب يوم ثقيل فازددت تمسكاً بالمقعد .

- طرقات أو طلقات رصاص فى رأسى وأشعة الشمس تلهب جفنى . وغزات بكعب قلم متآكل بين أصابع صفراء قذرة فى كتفى ..

- تذاكر .

- أتثاءب ماداً يدى إلى جيب قميصى أتحسس تذكرتى وأبرزها .

- بدأنا يومنا بالغش .. يافتاح ياعليم .. يارزاق ياكريم .

صوت ذو نبرات حادة وملامح كشرة .. وبداية سيئة .

- ياسيدى المحصل أنا لم أغادر مكانى والقطار لم يتحرك بعد .

- هذه تذكرة تاريخها أمس - ليس لى شأن بغير ذلك .

لاأمل فى مناقشة أو إقناع .. وليس معى نقود .

- غادرت الترام .. عـدت القهقرى لما قطعتـه أمس من خطوات بسيارة الأجرة والتـرام تذكرت صغـيرى والجـراحة والأم . نسيت مـا عدا ذلك .. حتى ابنتى أين تركـتـهـا ؟ عند أمى أو حـمـاتى ؟ أو أخـتى أو شـقـيـقـة زوجتى؟.. من سيقرضنى باقى المصاريف ؟ ماذا حدث للحمار والميدان ؟! نسيت كل ذلك .

هرولت داخلاً المستشفى وانزلقت مسرعاً إلى المصعد .

- الولد دخل غرفة العمليات منذ قليل صحبته أمه ..

قالهـا عامل المصعـد الذى حفظ صورتـى منذ أمس فقد رآنى عـشرات المرات أكثرها كان شجاراً واستنكـاراً . وأردف عامل المصعد قوله بغمزات ذات معنى .

- إن شاء الله يخرج بالسلامة .

وفتح باب المـصعد ودلفت إلى الغـرفة وإذا بزوجـتى تخلع على ولدى لباس الخروج وترتب الحقيبة.. وهي تقول .

- دخل غرفة العمليات ورفض الأطبـاء إجراء الجراحة .. الولد يحتاج إلى علاج أولاً وبعد شهر يعود للفحص .

رغم رداءة الخبر ..فإنه أدخل السعـادة إلى قلبى وأقسمت ألا نعود إلى هذه الدار أبداً.. تركتـها تلملم حاجيـاتها ونزلت إلى مكتب الاستـعلامات بأوراقى لاسترد باقى التأمين وفى مكتب المحاسبة علمت أنه نفذ .

***

العربيــة ○

ألقى سعيد لطفى السعيد جريدته دون اكتراث فانزلقت إلى الأرض مفككة الصفحات . نظر إليها كمن ينظر إلى جثة هامدة لا تعنيه .. .

وقف فجأة ونظر إلى السقف . خرج من الغرفة إلى أخرى .. تجول فى شقته بغير هدى وعاد إلى مكانه .

انحنى وهو جالس والتقط الجريدة.. لملم صفحاتها فى ضجر وأعادها إلى جانبه .. وأسند خده على راحته وعينه زائغة فى كل الأشياء المحيطة به وفى لاشىء .

نظر إلى الصحيفة . قرأ العنوان للمرة العاشرة .. تناولها . فتح صفحتها.. بدأ فى قراءة إحدى المقالات . بعد سطر ونصف السطر ترك المقالة إلى غيرها ..

تحقيق عن .. شده العنوان ..بعث فيه بعض النشاط الذهنى واستدعى عقله ليركز فى الموضوع قرأ سطرين وفى الثالث أغلق الجريدة .. طواها وألقى بها على المنضدة ..

دخل المطبخ دار بعينه فى أدواته وأشيائه.. خرج إلى غرفة الطعام .. فتح الثلاجة.. كرر ما فعله بالمطبخ أغلقها وخرج من الغرفة.. لاحظ أن باب الثلاجة رد مفتوحاً.. التفت إليه بغيظ وعاد ليركله برجله فى ضجر.. أحدث جلبة داخل الثلاجة وأصوات الزجاجات تتراقص ألماً من أثر الخبطة.

ألقى بنفسه على سريره .. وضع راحتيه تحت رأسه نظر إلى بيت

العنكبوت .. هم يرفع المقشة ذات اليد الطويلة ولكن يده تراخت فأعادها إلى الحمام دون فعل ..

أمام مكتبته وقف يطالع عناوين الكتب والدوريات .. يشده أحد العناوين .. يمد يده فى نشاط وانفراج ليسحب الكتاب .. وقبل أن يتم سحبه أعاده إلى حيث كان .

كرر ذلك مرات ثم أعطى ظهره إلى المكتبة فوقع نظره على الجريدة .. بظهر يده وبأطراف أظافره أزاحها فسقطت على الأرض .

دخل غرفة الطعام . فتح الثلاجة . أخرج علبة عصير وقبل أن يهم بفتحها أعادها حيث كانت وخرج دون أن يتأكد من إحكام غلق الثلاجة .

سحب درج من خزانته .. كثير من علب الدواء المعدنية الاسطوانية الفارغة. أخذها .. تأملها .. نشطت فكرة فى رأسه .. وضع العلب على مكتبه .. أخرج من درج المكتب أوراق لاصقة ملونة " القص واللصق " ارتفعت درجة نشاطه فسحب المقص .. زاد حماسه فأفرغ صندوق اللعب وكانت كلها مكسورة .. تناول عجلات أربعة .. من بين كثير من الحيوانات البلاستيكية انتقى حصانين . دب فيه النشاط والحيوية فعثر على علبة مستطيلة الشكل من البلاستيك وجد إنها مناسبة كصندوق لعربته المنشودة.. أخرج أنبوب اللاصق وجلس إلى مكتبه وكل الأشياء أمامه .. واستغرق فى عمله عدة ساعات . انتصف الليل .. ترك مكتبه . ألقى بنفسه على احدى الكراسى المريحة " فوتيه " استرخى .. انزلق جسده على الفوتيه ومد ساقيه فأراح قدميه على الأرض نظر إلى عربته بسعادة بالغة وفرح كبير.. عربته يجرها الخيل .. زوج من الخيل .

هل هى عربة " كارو " ؟! لا ..لا.. إنها عربة حربية فرعونية .. هاهى

عربتك يا أحمس وهاهى خيلك .. رابضة فوق مكتبى ..ها هو سعيد لطفى السعيد يصنعها بيديه .. يحلق فيها معجباً مفتوناً بصنعته .. وتتحرك الخيل ..عيونها تنظر إلى السعيد . رأسها يتحرك يميناً ويساراً.. ينظر السعيد إليها لاتتحركى .. ستنزلق بك العربة وتتحطمى ..

تزداد حركة العيون والرأس والأرجل .. تتجه صوب السعيد .. الخيل تكبر وتكبر وهى تقترب منه وصل حجمها إلى الحجم الطبيعى وانتفخت العجلات والعربة . ملأت المكان والسعيد يهزى .. انكمش فى ركن الفوتيه .. مد ذراعيه مصدرا كفيه يدرأ بهما خطر الخيل والعربة .

تدافعت العربة خلف الخيل ومرت الخيل فوقه .. بقرت بطنه بحوافرها هشمت عظام صدره .. وفرمته عجلات العربة .

مكوم هو فى زاوية الكرسى الفوتيه . فى وضع القرفصاء . يفتح عينيه وخيوط الشمس تتسلل من زجاج النافذة مكونة بقعة ضوء ملقاه فى وسط الغرفة .. والعربة ملقاه فى الظل مهشمة .

***

الفهرس

من قائمة الإصدارات الأدبية

رواية .. قصة

العنوان	المؤلف
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
لا أحد يحبك	أماني فهمي
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
الحب والتتار	خالد عمر بن ققه
أيام الفزع في الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيري عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب اطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد غنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
فى لهيب الشمس	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
أنا كنده	كيروجا ترجمة : رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقى عبد الحميد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
جسد فى ظل	عبد النبي فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــــــد	عبده خال
صعيدى صُح	د. عزة عزت
الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
فى انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
إينارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى	لوكيوس ابوليوس ترجمة د.على فهمى خشيم
سراديب	عفاف السيد
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحى سلامة
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوى
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
حب وظلال	كوثر عبد الدايم
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى
الحلم	ليلى الشربينى
النغم	ليلى الشربينى
الخرابة 2000	محمد الشرقاوى
كوميديا الإنسجام	محمد بركة
أشياء لا تموت	محمد صفوت
إلحاح	محمد عبد السلام العمرى
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمرى
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتى الساخنة	محمد محى الدين
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
الهروب مع الوطن	ممدوح القديرى
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
ديسمبر الدافئ	هدى جاد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
فرد حمام	يوسف فاخورى

شعر ..

العنوان	المؤلف
أول الرؤيا	إبراهيم زولى
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولى
قصائد حب من العراق	البياتى وآخرون
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطى
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطى
تماماً إلى حوار جثة يونسكو	رشيد الغمرى
كأنها نهاية الأرض	رفعت سلام
الألوان ترتعد بشراهة	شريف الشافعي
صلاة المودع	صبرى السيد
دينـــا تنادينـــا	طارق الزياد
تلف	ظبية خميس
البحر . النجوم . العشب في كف واحدة	ظبية خميس
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافى
حواديت لفندى	عصام خميس
سيرة الماء	د . علاء عبد الهادى
راتب الألفة	علوان مهدى الجيلانى
إضاءة فى خيمة الليل	على فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوى
إذهب قبل أن أبكى	د . لطيفة صالح
الغربة والعشق	مجدى رياض
مشاعر همجية	محسن عامر
غربة الصبح	محمد الفارس
وَنَس	محمد الحسينى
ليالى العنقاء	محمد محسن
العجوز المراوغ يبيع أطراف المهر	نادر ناشد
هذه الروح لى	نادر ناشد

مسرح ..

العنوان	المؤلف
هذه الليلة الطويلة	د.أحمدصدقى الدجانى
اللعبة الأبدية . (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
ملكة القرود	محمود عبدالحافظ

دراسات ..

العنوان	المؤلف
هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية	أحمد الأحمدين
قراءة المعانى فى بحرالتحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
اللغة والشكل	أمجد ريان
المثقفون العرب والتراث	جورج طرابيشى
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادى
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعونية	سليمان الحكيم
البعد الغائب . نظرات فى القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
رواد الأدب العربي فى السعودية	شعيب عبد الفتاح
الكتابة المشروع	شوقى عبد الحميد
رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم
بحثاً عن فرعون العربى	د . على فهمى خشيم
أعلام من الأدب العالمى	على عبد الفتاح
هيمنجواى حياته وأعماله الأدبية	د . غبريال وهبة
زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة	مجدى إبراهيم
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى
أدب الطفل العربى بين الواقع والمستقبل	ممدوح القديرى
الرواية العربية : رسوم وقراءات	نبيل سليمان

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - تراث - أطفال .
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.

الآراء الواردة فى الإصــدارات لا تعــبــر بالضــرورة عن آراء يتــبناهــا المركـــز

المؤلف

محمد علي سعد سعيد

- بكالوريوس العلوم - جامعة القاهرة .
- حائز لجائزة من القوات المسلحة في العيـد الأول لنصر أكتوبر المجيد عن ملحمة شعرية بهذه المناسبة .
- عضو رابطة الزجالين بقصر الغوري بالقاهرة .
- عضو الملتقى الثقافي برابطة الأدباء الكويتية .
- عضو اللجنة الثقافية باللجنة العامة للجالية المصرية بالكويت .
- سبق له نشر العديد من الأعـمال الزجلية والقصصيـة بالصحف الكويتية والمصرية .

ت / ٥٦١٢٤٣٨ القاهرة

ت / ٤٧٤٢٩٥١ الكويت



حين تقرأ هذه المجموعة القصصية للأديب محمد على فأنت فى مواجهة مدائن تعانقها الريح ومراكب تبحر - تائهة - بلا مرافئ .. وجزر ضائعة تبحث عن ضفافها .. كيف ذلك ؟

ابطال هذه القصص يجسدون عذاب الإنسان فى طموحاته وهلاكه اليومى بحثاً عن ظل شجيرة وارفة وأنهار عذبة دافئة .

إنهم ابطال هذا الواقع بكل مآسيه وأفراحه وسقمه ونعيمه .. ابطال يبحثون عن سر انطفاء الروح واشتعال القلب بالعشق ..

وقد عاش الكاتب غربة هؤلاء جميعاً .. وتحسس نزيف الجراح .. وآهات الألم .. ولعل ارتحال الكاتب واغترابه عن وطنه قد ساهم فى تشكيل رؤيته لتحقق لنا هذه الشمولية فى تصوير الإنسان بأحاسيسه ومشاعره وقلقه وانتحاره اليومى من أجل القيم والمثل والمبادىء الإنسانية .

الناشر

